مجلة (سَمْت)
مجلة علمية محكّمة متخصصة
في الدراسات التاريخية والحضارة الإسلامية
العدد الأول، رجب 1448 هـ / يناير 2027 م

دراسة تحليلية ونقدية
لأهم مصادر تاريخ دولة المماليك الجراكسة

أ.د.البيومى اسماعيل الشربينى البيبى

أستاذ التاريخ الإسلامي - كلية الآداب - جامعة دمياط - مصر

dr.bayome63@gmail.com

ملخص المقال

تتناول الدراسة أهم المصادر التاريخية لدولة المماليك الجراكسة في مصر والشام (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)، من خلال حصرها وتصنيفها وتحليل مضامينها وتقويم قيمتها العلمية في دراسة التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والحضاري لهذه الدولة. وتهدف إلى إبراز تنوع المادة المصدرية، والكشف عن إسهام الوثائق والمصنفات التاريخية والشواهد الأثرية في إعادة بناء الأحداث وفهم النظم والمؤسسات والعلاقات الداخلية والخارجية. وتستعرض الدراسة الوثائق المحفوظة في دير صهيون بالقدس ودير سانت كاترين بسيناء، والوثائق الحكومية والوقفية والمراسلات الدبلوماسية الواردة في المصادر العربية والفارسية، مع بيان أهميتها في دراسة الإدارة والقضاء والأوقاف وأحوال أهل الذمة والعلاقات الدولية. كما تتناول المصادر الأثرية والنقوش والكتابات المعمارية والفنون الإسلامية، ودلالاتها على التطور العمراني والصناعي والثقافي، إلى جانب النقود المملوكية وأثرها في فهم السياسات المالية والتحولات الاقتصادية. وتبحث الدراسة في مؤلفات الجغرافيا والتراجم والرحلات وكتب النظم، وما تقدمه من معلومات عن المجتمع والحياة العلمية والإدارية والتجارية. وتعتمد الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي والنقدي في تصنيف المصادر ومقارنة رواياتها وفحص مضامينها، والكشف عن اتجاهات مؤلفيها ومدى دقة معلوماتهم، مع الاستفادة من الدراسات الحديثة وتحقيقات النصوص والوثائق. وتبرز الدراسة أهمية التكامل بين المصادر المكتوبة والمادية والوثائقية في تفسير تاريخ المماليك الجراكسة، وتوضح أثر الانتماءات السياسية والمذهبية والشخصية للمؤرخين في صياغة الروايات التاريخية. وتخلص إلى ضرورة تنويع مصادر البحث التاريخي، وإخضاعها للمقارنة والتحليل والنقد، وتعزيز الإفادة من الوثائق والمخطوطات والنقوش والعملات والآثار، بما يسهم في تقديم صورة علمية أكثر شمولًا ودقة لتاريخ الدولة المملوكية الجركسية وحضارتها في مصر والشام خلال أواخر العصور الوسطى الإسلامية.

بيانات المُقال

تاريخ الإرسال: ٣ / ١١ / ٢٠٢٦
تاريخ التحكيم: ٨/ ١٢ / ٢٠٢٦
تاريخ النشر: ١/ ١/ ٢٠٢٧

الكلمات المفتاحية

المماليك الجراكسة؛ المصادر التاريخية؛ النقد التاريخي؛ الوثائق المملوكية؛ النقوش والآثار؛ الكتابة التاريخية.

معرّف الوثيقة الرقمي doi

التوثيق المرجعي للمقال

البيومى اسماعيل الشربينى البيبى، «دراسة تحليلية ونقدية لأهم مصادر تاريخ دولة المماليك الجراكسة» مجلة سَمْت، العدد الأول، رجب ١٤٤٨هـ / يناير ٢٠٢٧م.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

Abstract

An Analytical and Critical Study of the Major Historical Sources for the Circassian Mamluk Sultanate

This study examines the principal historical sources relating to the Circassian Mamluk Sultanate in Egypt and Syria (784-923 AH/1382-1517 CE) through their identification, classification, critical analysis, and assessment of their scholarly value for investigating the political, economic, social, and cultural history of the state. It aims to highlight the diversity of historical source materials and demonstrate the contributions of documentary records, historical writings, and archaeological evidence to reconstructing historical events and understanding administrative institutions, governmental structures, and internal and external relations. The study examines documents preserved at the Monastery of Mount Zion in Jerusalem and Saint Catherine's Monastery in Sinai, alongside governmental records, endowment deeds, and diplomatic correspondence preserved in Arabic and Persian historical sources. Particular attention is given to their significance for studying administration, judicial institutions, religious endowments, the conditions of non-Muslim communities, and international relations. The study also investigates archaeological sources, inscriptions, architectural records, Islamic arts, and Mamluk coinage, emphasizing their importance for understanding urban development, craftsmanship, cultural achievements, monetary policies, and economic transformations. Furthermore, it explores geographical writings, biographical dictionaries, travel accounts, and works on administrative and institutional systems. Employing historical, analytical, and critical approaches, the study classifies and compares sources, evaluates their reliability, and examines the political, religious, and personal perspectives influencing historical narratives. It emphasizes the importance of integrating written, documentary, and material evidence and concludes that systematic source criticism, comparative analysis, and greater utilization of manuscripts, documents, inscriptions, coins, and archaeological remains are essential for developing a more comprehensive and accurate understanding of the Circassian Mamluk Sultanate and its civilization in Egypt and Syria during the late Islamic Middle Ages.

Keywords: Circassian Mamluks; Historical Sources; Historical Criticism; Mamluk Documents; Inscriptions and Archaeological Remains; Historiography.

❋❋❋❋❋

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

مقـدمـة

تعتبر دولة المماليك في مصر والشام من الدول التي ذاع صيتها، وشغلت حيزا كبيرا قرب نهاية عالم العصور الوسطى الإسلامية، وبسقوطها بزغ ما يعرف بالتاريخ الحديث. وقد عرف الشق الأول من دولة المماليك باسم (دولة المماليك البحرية) وهذه حكمت البلاد ما بين عامي ٦٤٨-٧٨٤هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م. في حين عرف الشق الثاني من دولتهم باسم (دولة المماليك البرجية أو الجركسية أو الشراكسة) وهذه حكمت ما بين عامي ٧٨٤-٩٢٣هـ /١٣٨٢-١٥١٧م. وحول الدولة الأخيرة هذه يدور بحثنا اليوم في محاولة لرصد أهم المصادر التي تناولت تاريخها. وبادئ ذي بدء يمكن القول بأن تاريخ هذه الدولة لم يولد بين عشية وضحاها، وإنما يرجع إلى عام ٦٨١هـ /١٢٨١م حين عزم السلطان قلاوون على تكوين فرقة تابعة له يمكنه الاعتماد عليها دون الترك، وأطلق قلاوون على أفراد هذه الفرقة اسم البرجية، نسبة إلى أبراج القلعة التي أنزلهم بها، كما حرص على جلب أفرادها من عنصر الجركس المقيمين في القسم الشمالي الغربي من القوقاز وشرقي البحر الأسود إلى أطراف بلاد الأبخاز جنوبا[١]. وهي تقابل ما يسمى حاليا بدولة جورجيا. وقد بلغ عدد سلاطين الدولة المملوكية الثانية خمسة وعشرون سلطانا، وبلغ عمرها نحو ١٣٤ سنة، وأشهر سلاطينها تسعة، هم : (برقوق، وشيخ، وبرسباي، وجقمق، وإينال، وخشقدم، وقايتباي، وقنصوه الغوري، وطومان باي الأخير[٢]).

وفي محاولة منا لحصر مصادر دراسة تاريخ دولة المماليك أمكننا تصنيفها إلى:-

- وثائق:- وفيها تناولنا وثائق دير صهيون، وسانت كاترين، والجنيزة، والوثائق المحفوظة بالدور الحكومية، والمحفوظة طي المصادر العربية أو الفارسية.
- مصادر أثرية:- وهي الكتابات التي تناولت نواحي أثرية في القاهرة المملوكية إبان عهد الجراكسة.
- الكتابات التاريخية الأثرية أو النقوش :- وهي مؤلفات اهتمت بدراسة شكل ومضمون هذه النقوش.
- فنون:- وتعرضنا فيها للمؤلفات التي تناولت الأسلحة والملابس والزخرفة والرسومات.
- كتب السكة أو النميات : عرضنا فيها لبعض الدراسات الهامة عن العملة الجركسية ودور الضرب، وموظفيها، وأنواع العملات من ذهبية وفضية ونحاسية، وما تعرضت له على أيدي الزغلية.
- كتب الجغرافية:- أوردنا أهمها ممن حوت بداخلها صورا لجغرافية مصر خلال الفترة موضوع البحث.
- كتب التراجم:- وقد عرضنا لبعضها، وأثبتنا البعض الآخر ممن ترجم لرجال ونساء العصر
- كتب الرحلات:- أيضا عرضنا لكثير منها مما حوى معلومات قيمة عن حالة المجتمع.
- كتب النظم:- وبها ثبت وعرض لكثير من الكتب التي تناولت النظم المختلفة من : اقتصاد، وإقطاع، واجتماع، وأوقاف، وتعليم، وقضاء، وشرطة، وحسبة، وعلاقات دولية مع المغول والقوى الأوربية والعثمانيين.
- خاتمة: وقد حوت النقد الذي وجه إلى المصادر التاريخية ممن لم نتعرض لنقده خلال البحث ومن الأهمية بمكان هنا أن ننوه إلى بعض ما لم يتسع البحث لذكره، مثل:-

---

(١) للمزيد أنظر: مجهول: قهر الوجوه العابسة بذكر نسب الجراكسة (طبع مصر ١٢٨٧هـ).ص ٦، حكيم أمين عبدالسيد : قيام دولة المماليك الثانية (القاهرة ١٩٦٧م) ص ١١-١٢.

(٢) انظر : إبراهيم على طرخان : مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة (سلسلة الألف كتاب، كتاب رقم ٢٧٩، القاهرة ١٩٦٠م) ص١٠.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

١) من أهم المراجع التي اهتمت مباشرة بتاريخ الجراكسة كتابا: حكيم أمين عبدالسيد: قيام دولة المماليك الثانية (القاهرة ١٩٦٧م)، وإبراهيم علي طرخان: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة (القاهرة ١٩٦٠م) إذ تناول الكتاب الأول أصول دولة المماليك الثانية وكيفية اعتلاء السلطان برقوق العرش، وما واجهه من مؤامرات وكيف تغلب عليها، ثم شرع في تطوير نظم الحكم والإدارة. كذلك تناول علاقة الجراكسة بجيرانهم، وقد ذيل الكتاب بتسعة ملاحق وبعض الخرائط المهمة لدراسة تاريخ هذه الدولة. أما الكتاب الثاني فقد بدأ مؤلفه بذكر برقوق ثم من أعقبه من سلاطين الجراكسة، ثم عرج بعدئذ للحديث عن علاقة الجراكسة بالخلافة العباسية، أما الفصول التالية من الرابع حتى الثامن فقد خصصها للحديث عن علاقة الجراكسة بتيمورلنك وجزيرتي قبرص ورودس والدول التركمانية والإفريقية ثم بني عثمان، وجاءت الفصول الأخيرة من الكتاب لنتحدث عن الإقطاع والتجارة والمنشآت والرنوك. وبمقابل هذين الكتابين عثرنا على دراسة مشوهة لتاريخ الجراكسة ألفها أحد علماء الحملة الفرنسية ويدعى دلا بورت تحت عنوان: قاهرة المماليك، وقد ترجمتها منى زهير الشايب ونشرت في موسوعة وصف مصر (ج ١١، القاهرة ٢٠٠٢م). والكتاب متخم بالأخطاء التاريخية والعنصرية، نختار منه حدثين عن المماليك عموما. الأول علق المؤلف على استيلاء بيبرس على قلعة الأكراد ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م بقوله: «وبذلك توج الخدمة الجليلة التي قدمها هولاكو للبشرية بتخلصه من جماعة القتلة في العراق[١]». الثاني: ذكر أن برقوق عندما عاد لفترة حكمه الثانية ٧٩٢هـ قام بقتل السلطان الصالح حاجي بن شعبان وكل الذين ينتمون لحزبه[٢]. إلا أنَّ الحوادث تثبت غير ذلك، وأن برقوق أمَّن حاجي وأدخله إلى دور الحريم ورتب له ما يكفيه وظل حتى توفي على فراشه ليلة الأربعاء ١٩ شوال ٨١٤هـ في دولة الناصر فرج[٣].

٢) عند دراستنا لمصادر تاريخ المماليك الجراكسة - المخطوط والمطبوع منها - بغية تحليلها ونقدها، وجدنا بعض الدراسات القيمة التي تناولت هذا الجانب وباستفاضة نذكر منها: -

* محمد مصطفى زيادة: المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي (القاهرة ١٩٤٩م). وفيه تعرض بالتحليل لستة عشر مؤرخا وبالنقد لستة وثلاثين من مؤلفاتهم.

* محمد كمال الدين عز الدين: التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني على ضوء كتاب أنباء الغمر بأبناء العمر (رسالة ماجستير بكلية البنات جامعة عين شمس ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م).

- الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة. دراسة عن التاريخ والمؤرخين (رسالة دكتوراه، كلية البنات جامعة عين شمس ١٩٨٩م).

- المقريزي مؤرخا (ط١، بيروت ١٩٩٠م).

- أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة (القاهرة ١٩٩٢م).

- ابن حجر العقسلاني مؤرخا (ط١، بيروت).

- دراسات نقدية في المصادر التاريخية (ط١، عالم الكتب، بيروت ١٩٩٣م). وفيه عرض بالتحليل والنقد لثلاثة عشر مؤرخا وثمانية وعشرين كتابا وموسوعة ورسالة من مؤلفاتهم.

* حسن علي حسن: ابن تغري بردي وابن إياس دراسة مقارنة (رسالة ماجستير بآداب القاهرة ١٩٨٩م).

---

(١) أنظر ص ٣٣.
(٢) أنظر ص ٧٠.
(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٤٣٢ - ٤٣٣.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

* محمد عبدالحميد راغب : كتاب عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان للعيني الفترة من ٧٨٤ هـ - ٨٠٢هـ دراسة وتحقيق (رسالة دكتوراه جامعة الأزهر ١٩٨٩م)

* أحمد عبدالله الحسو : الذيل التام على دول الإسلام للسخاوي نشر وتحقيق (رسالة ماجستير بآداب عين شمس، أغسطس ١٩٦٨م).

من هذا يتبين لنا أنه من الصعب الإتيان بجديد خاصة أن هذه الدراسات بعضها لأعلام مشهود لهم، وبعضها أطروحات علمية خضعت للإشراف والتحكيم الدقيقين. وهذا دفعنا إلى عرض ونقد بعض ما لم تتعرض له الدراسات السابقة وإيراده في متن البحث، والاكتفاء بإيراد بعض النقد الذي وجه لمصادر تاريخ دولة المماليك الجراكسة في خاتمة هذا البحث مستندين إلى ما ذكره الآخرون.

* نود هنا أن نشير إلى مرجعا مهما عولنا إليه أحيانا أثناء إعداد هذا البحث بخاصة الفصل الحادي والعشرون منه وهو : جان سوفاجيه وكلود كاهن: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي (ترجمة عبدالستار الحلوجي وعبدالوهاب علوب، كتاب رقم ٣١ ضمن المشروع القومي للترجمة، القاهرة ١٩٩٨م).

* كنا نأمل من خلال بحثنا أن نخصص جزءا فيه لبلاد الشام وحدها - رغم أن المصادر التالية حوت الكثير عنها - إلا أنَّ ذلك أثقل البحث وأتخمه فارتأينا حذف ذلك إلى حين، والاكتفاء بما ورد بالبحث عنها.

وفي النهاية آمل أن يكون قد حالفني بعض التوفيق في دراسة بعض جوانب هذا الموضوع وما يتصل به من نقاط، ربما تسد بعض الفراغ في المكتبة العربية ليفيد منه الباحث الأكاديمي والمثقف العادي.

*****

أولاً: الوثائق

١) وثائق دير صهيون بالقدس الشريفة :- وهي عبارة عن وثائق تلقي نظرة على وضع طائفة الرهبان الفرنسسكان في الأراضي المسيحية المقدسة في ظل السيادة المملوكية. وتشتمل هذه الوثائق على مراسيم عامة وخاصة وحجج شرعية وفتاوى ومحاضر شرعية. وقد قام بنشر هذه الوثائق كل من كاستلاني:

(catalogo dei firmani ed altri documenti legali emanti in lingua arabe e turco concernati I Santuari, I Proprieta I diritti della Custodia di Terra-santa, Gerusalemme 1922.

والأب ريشاني (Documenti E Firmani, Gerusalemme 1931).

وقام بدراستها وتكملة الناقص منها الدكتور أحمد دراج وأورد جدولا بها[1]. وبالاطلاع على هذا الجدول وما يخص عصر المماليك الجراكسة تبين لنا أن عدد وثائق المجموعة العربية لدير صهيون خلال عصر الجراكسة بلغ ٦٣ وثيقة يمكننا تصنيفها كما يلي:-

(١) وثائق دير صهيون بالقدس الشريفة (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٨م) ص ٤٨ - ٦٤

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

م	السلطان	عدد الوثائق في عهده	أنواع الوثائق في عهد سلاطين الجراكسة						ملاحظات
			مرسوم عام	مرسوم خاص	حجج شرعية	محضر شرعي	مكاتبة	فتوى شرعية	
١	برقوق	٩	٣	٥	١				
٢	فرج بن برقوق	١		١					ملحق به مرسوم شرعي وخمس حجج
٣	المؤيد شيخ	١	١						
٤	المظفر أحمد بن المؤيد	١	١						
٥	الظاهر ططر	١	١						
٦	الصالح محمد بن ططر	١	١						
٧	برسباي	٦	٢	١	٢	١			مع المحضر فتوى ومحاضر أخرى
٨	جقمق	٩	٢	٢	١	٢	١	١	
٩	اينال	١	١						
١٠	خشقدم	٧	١	١	٥				
١١	قايتباي	١٠	٢	٣	٥				
١٢	محمد بن قايتباي	٢		١	١				
١٣	قنصوه الأشرفي	٣			٣				
١٤	قنصوه الغوري	١١		٦	٥				
	المجموع	٦٣	١٥	٢٠	٢٣	٣	١	١	

ومن خلال المراسيم السبعة التي نشرها الباحث كملاحق وما تضمنه موضوع الوثائق الواردة في الجدول يتضح لنا مدى الأهمية البالغة لهذه الوثائق في إيضاح علاقة دولة الجراكسة بأهل الذمة في تلك الفترة من جهة، وعلاقة أهل الذمة ببعضهم، وعلاقة الجراكسة بالقوى الغربية آنذاك من جهة أخرى. ناهيك عن أنها تبين لنا كثيرا من النظم المالية السائدة في الدولة وما يتبع ذلك من إلقاء الضوء على النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية في دولة المماليك البرجية. وبعيدا عن تحليل ما تضمنته موضوع هذه الوثائق – والتي تعرض لها الباحث في إيجاز [١]– يمكننا القول بأنه لا غنى لأي باحث في تاريخ المماليك الجراكسة من الاعتماد عليها لما تمثله من أهمية بالغة في دراسة تاريخ هذه الدولة.

(١) أنظر دراج: المرجع السابق، ص٥٤ وما يليها.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

ب) وثائق دير سانت كاترين بسيناء :-ومن الوثائق الهامة أيضا وذات الصلة بتاريخ دولة المماليك الجراكسة وثائق المجموعة العربية لدير سانت كاترين بسيناء ووثائق بطريركية الأقباط الأرثوذكس. هذه الوثائق مكتوب القليل منها على رق والكثير منها على ورق مختلف الأنواع. وقد تعرض لدراسة هذه الوثائق وما حوته نفر من الباحثين نذكر منهم على سبيل المثال:

- عبداللطيف إبراهيم: في مكتبة دير سانت كاترين (مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، عدد ١، ١٩٦٨م).

- قاسم عبده قاسم : أهل الذمة في مصر العصور الوسطى (ط٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩م)

- زينب محفوظ هنا : التطور الدبلوماتي لمراسيم ديوان الإنشاء بدير سانت كاترين من القرن الخامس حتى القرن الخامس عشر الميلادي (رسالة ماجستير بجامعة القاهرة ١٩٧٠م).

Ernest:Die Mamlukischen Sultan sur Kunden des Sinai Klosters, Wiesbaden 1960.

Moritz:Sur les antiquites arabes du Sinai(Bull. de l Inst.Egyptien 1910.

Atiya: the arabic treasures of the convent of Mount-Sinai(Egyptian Society of historical studies, II,1952.)

ومن خلال ما ذكره قاسم عبده قاسم[١] عن وثائق دير سانت كاترين تبين أن عددها بلغ ١٠٧٢ وثيقة من بينها ٦٥ مرسوما أصدره سلاطين المماليك لرهبان الدير فضلا عن ثلاثين وثيقة خاصة. وبالرجوع إلى الملاحق والقوائم التي أوردها[٢] أمكننا الخروج بما يلي:-

١- بلغ عدد الوثائق العامة (المراسيم) التي تخص الجراكسة ٤٨ وثيقة شملت عهود تسعة سلاطين هم: برقوق (٥)، فرج (١)، شيخ (١)، جقمق (١)، إينال (٢)، خشقدم (٤)، قايتباي (١٧)، الغوري (١٠)، طومان باي (٧).

٢- بلغ عدد الوثائق الخاصة التي تنسب لعهد الجراكسة ٢٩ وثيقة تفاوتت أنواعها ما بين: معاهدة (١)، فتوى (٥)، بيع (٧)، وقف (٨)، مصادقة شرعية (٢)، توكيل شرعي (١)، حكم شرعي (٣)، إيصال (٢).

٣- بلغ عدد وثائق بطريركية الأقباط الأرثوذكس التي تخص الجراكسة أربع وثائق، منها ثلاث وثائق وقف ووثيقة بيع.

٤- هذه الوثائق وما حوته من معلومات تلقي الضوء على موقف الدولة الرسمي تجاه أهل الذمة عامة، وتوضح كثيرا من الحقائق الخاصة بحياتهم، وما تمتعوا به من حقوق وإعفاءات ضريبية وتأمين في أسفارهم.

ج) وثائق الجنيزة :- كذلك هناك وثائق الجنيزة وقد تناولها بالدراسة حسنين محمد ربيع (وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي لموانى الحجاز واليمن في العصور الوسطى. بحث الندوة العالمية الأولى لمصادر تاريخ الجزيرة العربية، ج٢، ١٣٩٧هـ ص١٣١ -١٤٤). وأن كنا نرجح أن هذه الوثائق لم يوجد منها ما يفيد في دراسة تاريخ الجراكسة - حتى الآن على الأقل - بقدر ما تفيد في دراسة تاريخ الفاطميين والأيوبيين والمماليك البحرية. ولكي نوضح مدى أهمية وثائق جنيزة القاهرة كمصدر لدراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي نحيل القارئ إلى ما كتبه جواتياين: دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية (تعريب وتحقيق عطية القوصي، دار الثقافة العربية) خاصة الفصول ١٤، ١٧، ١٨. ولعل أهمية هذه الوثائق تكمن في

(١) المرجع السابق، ص١٦ اعتمادا على نسخة ميكروفيلم بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والمنقولة عن نسخة جامعة الاسكندرية.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠١-٢١٦.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

كونها تلقي الضوء على بعض النظم والعادات التي ظلت سارية في مصر أبان عهد المماليك الجراكسة.

د) الوثائق الحكومية:- وإلى جانب الوثائق السابقة وصلتنا أيضا وثائق أخرى كثيرة من عصر الجراكسة ومحفوظة بالعديد من الدور الحكومية مثل : دار الوثائق القومية بالقلعة (مجموعة المحكمة الشرعية)، وأرشيف وزارة الأوقاف. ومكتوبة على الرق أو الورق. وهذه الوثائق متنوعة الأغراض ما بين: وثائق بيع، ووثائق تمليك، ووثائق وقف، ووثائق استبدال.... الخ. ومتفاوتة في الحجم والأطوال ويصل بعضها إلى ما يزيد عن عشرين مترا. وهذه الوثائق بلا شك تفيدنا كثيرا في الدراسات التاريخية والأثرية والوثائقية. وقد ظهر البعض منها إلى النور بينما ظل البعض الأخر في غياهب الظلمات يحتاج إلى التحقيق والنشر. ومن الوثائق المنشورة نذكر:

- تسع وثائق من عصر سلاطين المماليك الجراكسة قام بدراستها ونشرها محمد محمد أمين ضمن ملاحق فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك (المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، د ت). وهي عبارة عن أربع وثائق بيع، ووثيقتي وقف، ووثيقتي استبدال، ووثيقة إسقاط وتمليك.

- وثيقة السلطان المؤيد شيخ التي تصف عمائره ومنشآته وأوقافه عليها. وهي الوثيقة المحفوظة تحت رقم ٩٣٨ بأرشيف وزارة الأوقاف ومكتوبة على رقاع من الرق وطول الوثيقة ٢١,٥ متر على هيئة ملف حررت في حياته بتاريخ ٤ جمادي الآخرة ٨٢٣هـ وعدد أسطرها ٩٥٤ سطرا. وقد قام بدراستها ونشرها فهمي عبدالعليم رمضان: العمارة الإسلامية بمصر في عصر السلطان المؤيد شيخ (رسالة دكتوراه بآثار القاهرة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) وقد نشرت الوثيقة ما بين صفحتي ١٧٣ -٢٧٩.

- ومن الوثائق التي تصف أملاك الأمير عبدالغني الفخري وتصف مدرسته بشارع بورسعيد، الوثيقة المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقلعة تحت رقم ٧٢ محفظة ١٢ ومؤرخة في ١٦ رمضان ٨٢٠هـ ومكتوبة بالخط الديواني بالمداد الأسود وطولها تسعة أمتار واثنان وثلاثون سنتيمترا وعرضها ٣٦,٥سنتيمترا، ومكونة من ١٦ درجا متصلا مخيطا. وقد قام بنشر هذه الوثيقة محمد محمد الكحلاوي : مدرسة الأمير عبدالغني الفخري (رسالة ماجستير بآثار القاهرة ١٩٨١م) وقد نشرها ما بين صفحتي ١٤٥ - ١٨٥.

- وثيقتان باسم القاضي عبدالباسط بن خليل، الأولى محفوظة تحت رقم ١٣١٨٤ بدار الوثائق القومية بالقلعة ومؤرخة في ٦ ذي الحجة ٨٣٣هـ ومفقود نصفها. والثانية محفوظة تحت رقم ١٨٩ ج بوزارة الأوقاف ومؤرخة في المحرم ٨٢٩هـ ومفقود نصفها الأيسر نتيجة حرق. وقد نشر هاتين الوثيقتين سامي نوار : الأعمال المعمارية للقاضي عبدالباسط (رسالة ماجستير بآداب أسيوط ١٩٨٠م) نشرهما ما بين صفحتي ٢٦٢ - ٢٩٢.

- وثيقة قراقجا الحسني المحفوظة بوزارة الأوقاف تحت رقم ٩٢ ومكونة من ١٤ درجا والتي تتناول منشآت قراقجا الحسني والجمالي يوسف ولاجين السيفي. وقد قام بدراسة ونشر هذه الوثيقة، حسن سيد جودة القصاص: مساجد الأمراء في عصر السلطان جقمق (رسالة دكتوراه بآثار القاهرة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م). هذا علما بأن عبداللطيف إبراهيم قد قام من قبل بنشر وجه هذه الوثيقة ضمن مجموعة الوثائق المملوكية مجلة آداب القاهرة (مجلد ١٨، ج٢، ١٩٥٦م) ما بين صفحتي ١٨٣ - ٢٥١.

- حجة وقف الأشرف برسباي رقم ٣٣٩٠ تاريخ بدار الكتب. وقد قام بنشرها احمد دراج ضمن مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٦٣م. علما بأن هذه الوقفية كانت محور رسالة أحمد دراج. أنظر :-

Darrag:L acte de Waqf de Barsbay.(Paris 1955)

-وقد حظيت وثائق عصر قايتباي باهتمام كبير من الباحثين فقام محمد محمد أمين بنشر وثيقة وقف

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

السلطان قايتباي على المدرسة الأشرفية وقاعة السلاح بدمياط، والتي تحمل رقم ٨٨٩ ق أوقاف، وذلك في المجلد رقم ٢٢ لسنة ١٩٧٥م من مجلة الجمعية المصرية للدارسات التاريخية. كذلك قام عبداللطيف إبراهيم علي بنشر ودراسة وثيقة السلطان قايتباي على الجامع والمدرسة بغزة، وهي الوثيقة التي تحمل رقم ٨٨٧ أوقاف وذلك عام ١٩٥٩م في كتاب المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية. وعندما تناول حسني محمد نويصر في رسالته للماجستير (قسم الآثار الإسلامية بآداب القاهرة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) مجموعة سبل السلطان قايتباي بالقاهرة قام بنشر وثيقته التي وقفها على سبيله المندثر تحت الربع الظاهري، وهي الوثيقة المحفوظة بوزارة الأوقاف تحت رقم ٨٨٦. وهنا يجدر بنا أن نشير إلى أن ماير قد قام من قبل بنشر جزء من هذه الوثيقة في :-

Mayer: the buildings of Qaytbay as described in the endowment deed (London 1938).

- **ومن الباحثين الذين لهم بصمات واضحة في دراسة ونشر وثائق المماليك الجراكسة عبداللطيف إبراهيم علي**، حيث قامت رسالته للدكتوراه (القاهرة ١٩٥٦م) على وثائق عصر الغوري، ثم تلى ذلك دراسة ونشر مجموعة وثائق نذكر منها :-

* **وثيقة الأمير آخور كبير قراقجا الحسني رقم ٩٢ ق أوقاف (مجلة آداب القاهرة**، مجلد ١٨، ج٢، ١٩٥٦م - ١٩٥٩م).

* **وثيقة بيع رقم ١٦٨ محفظة ٢٥ مجموعة المحكمة (مجلة آداب القاهرة مجلد ١٩، ج٢، ١٩٥٧م - ١٩٦١م).**

* **وثيقة وقف مسرور الجمدار رقم ٦/٣٩ محكمة (مجلة آداب القاهرة مجلد ٢١، ج٢ ديسمبر ١٩٥٩م - ١٩٦٤م).**

* **وثيقة استبدال رقم ٢٥٩ محفظة ٤٠ مجموعة المحكمة (مجلة آداب القاهرة مجلد ٢٥، ج٢ ديسمبر ١٩٦٣م القاهرة ١٩٦٨م).**

* **وثيقة الأمير صرغتمش رقم ٣١٩٥ أوقاف (مجلة آداب القاهرة مجلد ٢٧ - ٢٨ سنة ١٩٦٥م-١٩٦٦م**، القاهرة ١٩٧٠م - ١٩٧١م).

* **خمس وثائق شرعية (٦٣٤ج أوقاف - ٣٣/٢٠٤ محكمة - ٥٤٤ج أوقاف - ٢٢٥ج أوقاف - ٧٠١ ج أوقاف) مجلة جامعة أم درمان الإسلامية**، عدد ٢، ١٩٦٩م.

وإلى جانب ما سبق ذكره هناك وثائق أخرى قام بدراستها ونشرها نفر من الباحثين نذكر منهم : حسنين محمد ربيع[١]، وزينت محفوظ هنا[٢]، ومحمد محمد أمين[٣]، وآمال العمري[٤]، وفاروق عثمان أباظة[٥]، وغيرهم الكثير.

---

(١) حجة تمليك ووقف الوثيقة ١/٥ من مجموعة المحكمة (مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مجلد ١٢ عام ١٩٦٤م).
(٢) وثائق البيع في مصر خلال العصر المملوكي (رسالة دكتوراه جامعة القاهرة ١٩٧٧م).
(٣) انظر ما ورد في كتابه : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٠م) وله أيضا : معاهدة تجارية بين مصر والبندقية من عصر السلطان المؤيد شيخ (ندوة مصر وعالم البحر المتوسط، ط١، القاهرة ١٩٨٦م) وهي تبين الامتيازات التي حصل عليها السفيران لورنزو كابيللو، و سانتو فينيير، من المؤيد شيخ عام ٨١٨هـ /١٤١٥م. وإلى جانب ما نصت عليه من حسن معاملة البنادقة فقد حوت ٢٤ بندا آخرا ص٣٠٧ - ٣٢٥.
(٤) مجموعة وثائق خاصة ببيع وشراء بعض الخيول. (مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد ١٠، نوفمبر ١٩٦٤م)
(٥) أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر (الإسكندرية ١٩٨٨م) وقد نشر فيه مجموعة وثائق خاصة بالصادرات المصرية إلى بلاد الغرب ا لأوربي.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

وبهذا الخصوص يجب أن نشير إلى ما كتبه فيت وسوفاجيه من دراسات وثائقية عن الوقفيات ببلاد الشام. انظر:-

Wiet:Repertoire des decrets Mamlouks de Syrie.(Dussaud,II,1939)

Sauvaget J:Decrets Mamlouks de Syrie(Bulletin des etudes Oriantales de L Institut Francais de Damas,II,III1932-3,XII,1947-8)

هـ) الوثائق المصدرية :-هناك مجموعة كبيرة من الوثائق التي تتناول نواحي عدة في تاريخ دولة المماليك الجراكسة ولكنها لم تأت منفردة كسابقتها، بل جاءت طي المصادر العربية والفارسية التي أرخت لمصر في تلك الحقبة. نذكر من بين هذه المصادر :-

* **تقي الدين بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م):- السلوك لمعرفة دول الملوك.** فقد حوت موسوعته هذه كثيرا من ا لوثائق والمراسيم التي تلقي الضوء على تاريخ دولة المماليك الجركسية داخليا وخارجيا نختار مثالا من ذلك : الخطاب الذي أرسله تيمور لنك إلى الظاهر برقوق ٧٩٦هـ يهدده ويذكر فيه بعض مثالب المماليك كالرشوة والاستيلاء على أموال الأيتام... [١]. **ومثال آخر الرد الذي أرسله برقوق على خطاب تيمور لنك وفند** فيه الرد على دعاواه...[٢]. **وأيضا مراسيم أخرى كالذي ورد بالمسامحة عن الأموال الديوانية...**[٣].

* **جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ / ١٥٠٥م):- تاريخ الخلفاء**، وقد ختمه بأرجوزة ضمت أسماء الخلفاء ووفياتهم بدءا بالرسول ﷺ وانتهاء بالمستمسك بالله[٤].

* **أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت٨٢١هـ /١٤١٨م):- صبح الأعشى في صناعة الإنشا.** فقد حوت المقالتان الرابعة والخامسة من موسوعته مئات الوثائق والنصوص الرسمية، والدبلوماسية التي تناولت النظام الإداري في مصر من جهة، وعلاقة الدولة بغيرها من الدول الأخرى من جهة أخرى. فنجد هناك رسائل متبادلة مع الدول الأسيوية (كاليمن ورسالة صاحبها إلى برقوق ٧٩٨هـ طالبا الأذن بالحج وتسفير المحمل[٥]). والدول الأفريقية (كرسالة ملك البرنو لبرقوق[٦]). **والبلاد الغربية (كرسالة ميخائيل باليولوجي دوج البندقية إلى فرج ٨١٤هـ يوصيه خيرا بأقباط مصر**[٧]، ورسالة القبطان الجنوي بميناء فماجوسته بقبرص إلى الناصر فرج في سفر ٨١٨هـ/ ١٤١١م[٨]). **ويذكر أمثلة أخرى عدة عن الهند**، والسند، وتونس، والمغرب، وأشراف الحجاز، والبحرين[٩]، والكانم، والتكرور، وأرمينيا الصغرى. هذا إلى جانب إيراده نصوص الرسائل الديوانية الصادرة عن ديوان الإنشاء وكذا المكاتبات الديوانية والمهادنات وعقود الأمان وغيرها. مثل (الأمان الذي كتبه قلاوون للتجار الواردين لمصر[١٠].

* **محمد بن خواند شاه (ق ٩ هـ):- روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفا (ج٦ مخطوط بجامعة**

---

(١) المصدر السابق، ج٣ ق٢، ص٨٠٣ - ٨٠٥ .
(٢) المصدر السابق، ج٣ ق٢، ص ٨٠٥ - ٨٠٧.
(٣) المصدر السابق، ج٢ ق١، ص ٢٠ .
(٤) المصدر السابق، ص٦١١ - ٦١٥.
(٥) المصدر السابق، ج ٨، ص ٧٢، ج٧، ص٣٤٤ .
(٦) المصدر السابق، ج٨، ص ٨.
(٧) المصدر السابق، ج٨، ص١٢١.
(٨) المصدر السابق، ج٨، ص ١٢٤.
(٩) المصدر السابق، ج٧، ص ٣٧٠.
(١٠) المصدر السابق، ج١٣، ص ٣٤٠

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

القاهرة رقم ٩٧٨ فا). وبه أورد كتاب من تيمورلنك إلى السلطان فرج بتاريخ ٨٠٥هـ بعد واقعة أنقرة[١]. **علما بأن أمين عبدالسيد قد ترجم هذا الكتاب ونشره في الملحق الثامن من كتابه سابق الذكر.**

* **مجموعة سيرة برلام ويواصف: وقد ورد بها كتاب من النجاشي داود إلى السلطان برقوق ينفي فيه ما أشيع عن سوء معاملة المسلمين هناك ويدعو برقوق لرعاية النصارى وإلا قطع النيل**[٢].

* **ابن صصري: الدرة المضيئة.** وأورد فيها نصوص مراسلات دارت بين تيمور لنك والسلطان برقوق ورد الأخير عليها وذلك في ٧٩٦هـ/ ١٣٩٤م.[٣]

* **ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، وقد أورد فيه خطاب تيمور لنك السابق[٤].

* **شرف الدين علي يزدي: ظفر نامه (ج١، كلكتا ١٨٨٧م، ص٦٤٢)**. وهو كتاب فارسي جاء به خطاب تيمور لنك إلى برقوق عام ٧٩٥هـ يدعوه إلى مراعاة حسن الجوار وتأمين طرق المواصلات والتجارة. وقد ترجمه وعلق عليه أمين عبدالسيد في الملحق (١) من كتابه ص١٦٧. وفي ملحق (٢) أورد رد برقوق على الخطاب السابق وترجمه عن ظفر نامه (ص١٦٨-١٦٩). وفي ملحق (٤) أورد كتاب تيمور لنك إلى فرج في المحرم ٨٠٣هـ نقلا عن ظفر نامه (ج٢، **ص٢٧٦**)، وترجمه في صفحة ١٧٢. وفي ملحق (٥) أورد كتاب تيمورلنك إلى فرج في جمادي الأولى عام ٨٠٣هـ حين تقدم لحصار دمشق، نقلا عن ظفر نامه (ج٢، **ص٣١٥ - ٣١٦**). وفي ملحق (٦) جاء رد فرج على كتاب تيمورلنك في جمادى الأولى عام ٨٠٣ نقلا عن ظفر نامه (ج٢، **ص٣١٧**).

* **علي بن داود الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان**، حيث جاء في الجزء الثالث منه ضمن حوادث ٨٣٩هـ رسالة من شاه رخ إلى جانبك الصوفي يحرضه على أخذ بلاد الشام يعقبها مرسوم السلطان بالتنبيه على نواب الشام بأن يكونوا على يقظة لطارق يطرق حلب[٥] وفي الجزء الرابع ضمن أحداث ٨٤٧هـ يذكر خبر رسالة ملك الحبشة مكناسيون بن داود إلى السلطان جقمق وقد جاء نصها ما بين صفحتي ٢٨١-٢٨٨.

* **ابن إياس: بدائع الزهور.** حيث جاء في الجزء الخامس ضمن حوادث ربيع الأخر ٩٢٢هـ رسالة ابن عثمان إلى الغوري والتي يقول فيها «أنت والدي وأسألك الدعاء...» **ورد على بعض المشاكل العالقة كمنع تجار الرقيق من إحضارهم إلى مصر إلى غير ذلك من الخديعة**[٦]. **كما جاء أيضا بهذا الجزء رسالة من ابن عثمان إلى طومان باي يهدده فيها ويعيره بأصله الوضيع بينما هو ملك ابن ملك إلى عشرين جدا**، وطالبه فيها بحمل خراج مصر إليه، وأنه أولى منه بخدمة الحرمين[٧].

* **ومن الجدير بالذكر أن محمد ماهر حمادة قد خصص الجزء السادس من سلسلة وثائق الإسلام لعصر المماليك**، جمع فيها كثيرا من الوثائق الواردة في المصادر المملوكية[٨].

* * * * *

(١) أنظر ص ٢٤٦.
(٢) وهذه المجموعة مخطوط بمكتبة بطريركية الأقباط الأرثوذكس وتاريخها ١٦ كيهك ١١٧٩ش، رقم ٤٢ تاريخ، ص٣٣١ -٣٣٩. وقد نشرها أمين عبدالسيد كملحق في كتابه السابق ص ١٧٦ - ١٨٠.
(٣) أنظر ابن صصري: الدرة المضيئة ص ١٤٦-١٤٧.
(٤) ابن تغري بردي : النجوم، ج١٢، ص ٤٩ - ٥٢.
(٥) انظر الصيرفي : نزهة، ج٣، ص ٣٣٤ .
(٦) ابن إياس : بدائع، ج٥، ص ٤٥.
(٧) ابن إياس : بدائع الزهور، ج٥، ص١٢٤ - ١٢٥.
(٨) أنظر محمد ماهر حمادة : الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي (ط٢، بيروت ١٩٨٣م).

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

ثانيا: المصادر الأثرية

مما لا شك فيه أن دراسة آثار المماليك الجراكسة وفحصها يمكن أن يقودنا إلى استنباط كثير من الحقائق التاريخية عنهم، والحكم على حضارتهم التي خلفت تلك الآثار. وعلى هذا فإنه وفق تصوري ليس في الاستطاعة كتابة تاريخ الجراكسة دون الاستعانة بالآثار، أو على الأقل استخدام النتائج العلمية التي توصل إليها علماء الآثار الإسلامية، لما تحويه من أوصاف للمدن وسكانها وعمائرها وكثيرا من أحوالهم التاريخية والاجتماعية. ومن الكتب الهامة التي تناولت بعض الجوانب الأثرية في تاريخ الجراكسة كتاب:

١) **المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.** (جزءان، دار صادر بيروت، د ت) **وهو كتاب خصصه المقريزي للحديث عن خطط مدينة القاهرة وما سبقها من عواصم مصرية كالفسطاط والعسكر والقطائع،** وما آلت إليه هذه العواصم في عصر المماليك. وفي الجزء الثاني من خططه تناول ذكر حارات القاهرة ثم خططها، ثم دروبها وأزقتها، ثم ذكر الخوخ ثم الرحاب ثم الدور ثم الحمامات ثم القيساريات، ثم الخانات والفنادق، ثم الأسواق، ثم الأحكار، ثم الخلجان، ثم القناطر، ثم البرك، ثم الجسور، ثم الجوامع، فالمدارس، فالمارستانات، ثم المساجد والخوانك، والرابطات، والزوايا، ثم القرافة.... **إلخ.** وكذلك ديارات وكنائس النصارى.

٢) **القلقشندي: صبح الأعشى.** وقد أفرد القلقشندي الفصل الأول من الباب الثالث لذكر قواعد الديار المصرية وهي: الفسطاط، والقاهرة، والقلعة. مستقيا معلوماته من ابن فضل الله العمري وموسوعته مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. وقد جاءت كتابات القلقشندي على درجة كبيرة من الأهمية بسبب أمانته في النقل، ودقته في وصف ما أضافه ونقله نتيجة مشاهداته العينية لكثير من مباني القاهرة والقلعة. وإلى ذلك أشار بعض الباحثين[١]. وأكدته كثير من دراسات المستشرقين الذي اهتموا بإحياء معالم عواصم مصر الإسلامية مثل:-

- **بول كازانوفا: تاريخ ووصف قلعة القاهرة (ترجمة أحمد دراج،** الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤م). حيث تحدث في الفصل الخامس من الجزء الأول عن موقع القلعة. وفي الجزء الثاني في الفصل الثاني عشر تحدث عن القلعة منذ محمد بن قلاوون حتى عصر المؤرخ المقريزي أي حوالي ٨٤٠هـ. وفي الفصل الثالث عشر تناول وصف القلعة زمن القلقشندي والمقريزي. وفي الفصل الرابع عشر تناول القلعة منذ منتصف القرن التاسع الهجري إلى الفتح العثماني. ولم يفته أن يزود كتابه بالعديد من الرسوم الهندسية التي تبين كل جزء في القلعة. وإذا كان كازانوفا قد انتهى من دراسته هذه عام ١٨٩٤م، فقد قام من بعده عبدالرحمن زكي بإعداد كتاب آخر عن قلعة الجبل (القاهرة ١٩٥٠م). وبعد ذلك أعد كتابا آخر عن : القاهرة تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ ٩٦٩-١٨٢٥م (القاهرة ١٩٦٦م).

- **كذلك أعد محمد عبدالله عنان: مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية (ط١،** القاهرة ١٩٣١م) وقد أعيد نشره في مكتبة الأسرة عام ١٩٩٨م. وفيه تناول الخطط في تاريخ مصر، وصورا من الأدب المصري إلى جانب موضوعات أخرى تتصل بعلاقات مصر بالبندقية وأرجون والأندلس والفتح العثماني لمصر.

Dopp:LeCairevuParlesvoyagaursoccidentauxduMoyen-Age.(B.S.R.G.E.,T.24,Le Caire1951)

Clerget:Le caire Atudes de geographie urbaine et d histoire economique.(II vol, Le Caire 1934)

(١) أحمد دراج : الجانب الأثري في كتاب صبح الأعشى (أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى، القاهرة ١٩٧٣م) ص١٠٣.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

Ravaisse:Essai sur L histoire et sur la topographie du caire d apres Makrizi.(Mem. Miss.Arch.Fri.,T.I-III.)

Salmon:Etudes sur la topographie du caire. La Kal at al-Kabch et la Birket a-Lfil. (Mam.de L Ins. Fr. d Arch. Or.,T.VII,Le Caire1902)

وإلى جانب الدراسات القديمة هناك أيضا دراسات أثرية حديثة تناولت نواحي عدة من منشآت وعمائر ومساجد وشوارع وسبل ومدارس سلاطين المماليك الجراكسة في مصر نذكر منها على سبيل المثال:-

* **حسني محمد حسن نويصر: مجموعة سبل السلطان قايتباي بالقاهرة.** دراسة معمارية وأثرية (رسالة ماجستير بقسم الآثار الإسلامية، كلية الآداب - جامعة القاهرة، جزءان ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) وفيها تعرض لسبيل قايتباي المعروف بسبيل الجندي بجبانة المماليك، وسبيل قايتباي الملحق بوكالته بالأزهر، وسبيل قايتباي بالصليبة. وألحق برسالته بيان بحصر الأسبلة المملوكية الباقية بمدينة القاهرة[١]، ويذكر أيضا للمؤلف نفسه : منشآت السلطان قايتباي الدينية بمدينة القاهرة (رسالة دكتوراه بكلية الآثار - جامعة القاهرة ١٩٧٥م).

* **حسن سيد جوده القصاص: المدرسة الصرغتمشية.** دراسة أثرية معمارية (رسالة ماجستير بجامعة القاهرة ١٩٧٣م) وللمؤلف نفسه: مساجد الأمراء في عصر السلطان جقمق (رسالة دكتوراه بآثار القاهرة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م) وفيها تحدث عن منشآت قراقجا الحسني والجمالي يوسف ولاجين السيفي.

* **سامي نوار: الأعمال المعمارية للقاضي عبدالباسط (رسالة ماجستير بآداب أسيوط ١٩٨٠م).**

* **جلال أسعد ناصر: العمارة المملوكية الجركسية في بيت المقدس (رسالة دكتوراه بآثار القاهرة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).**

* **شفيقة قرني سيد أبو نصر : دراسة أثرية معمارية لشارع الصليبة بالقاهرة حتى العصر الجركسي (رسالة ماجستير**، جزءان، كلية الآثار جامعة القاهرة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

Hautceur&Wiet: Le Mosque de Caire 1932.

* **فهمي عبدالعليم رمضان: العمارة الإسلامية بمصر في عصر السلطان جمقمق.** دراسة أثرية معمارية (رسالة دكتوراه، كلية الآثار جامعة القاهرة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م). وقد تناول في الفصل الأول منها العمائر الدينية الباقية والدارسة مثل جامع المؤيد شيخ[٢]، ومدرسة الأمير فخري الدين بن عبدالغني، ومدرسة القاضي عبدالباسط، ومدرسة الأمير قاني باي المحمدي، وجامع الصوه، وخانقاة المؤيد شيخ الدارسة بالجيزة [٣][٢] وفي الفصل الثاني تحدث عن العمائر المدنية الباقية والمندرسة مثل : البيمارستان المؤيدي وحمام المؤيد، هذا إلى جانب ١٨ موقعا آخر[٤] وفي القسم الثاني من الرسالة تعرض بالشرح والتحليل إلى عمائر ومنشآت وأوقاف المؤيد شيخ

* **سامي أحمد حسن: السلطان إينال وآثاره المعمارية في القاهرة (رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة ١٩٧٦م).**

* **سامي احمد عبدالحليم إمام : آثار الأمير قاني قرا الرماح بالقاهرة.** دراسة أثرية معمارية (رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة ١٩٧٥م).

---

(١) أنظر المرجع السابق، ص ١٧٤ - ١٨٨

(٢) أنظر المرجع السابق: ص٢٤.

(٣) أنظر المرجع نفسه: ص ٢٦، ٢٧، ٣١، ٢٨، ٣٨

(٤) أنظر المرجع نفسه: ص٤٥، ٥٧، ٦١ - ٩٨.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

هذا إلى جانب العديد من الدراسات والرسائل الأخرى التي تزخر بها مكتبة كلية الآثار بجامعة القاهرة وغيرها من كليات الآداب المصرية. ويدخل أيضا ضمن هذه الدراسات كتابا :-

- **حسن عبدالوهاب: تاريخ المساجد الأثرية (مصر ١٩٤٦م).**

- **كمال الدين سامح: العمارة الإسلامية في مصر (الهيئة المصرية العام للكتاب ١٩٨٧م).** وفيه درس العديد من العمائر المملوكية الجركسية مثل مدرسة وخانقاة برقوق بالنحاسين، وضريح برقوق وابنه فرج بمقابر المماليك، وخانقاة الأشرف برسباي بالقرافة الشرقية، ومدرسة قايتباي بالقرافة الشرقية، وقلعة قايتباي بالإسكندرية، ومسجد المؤيد شيخ، ومسجد الغوري، وخان الخليلي[١]. **وفي الفصل الثالث درس الدور والقصور في مصر في عهد المماليك.** وفي الفصل الرابع درس تطور القباب في عهد دولة المماليك الجراكسة.

*****

ثالثًا: الكتابات التاريخية الأثرية أو النقوش

وصلتنا كثير من النقوش المملوكية على جدران ا لمساجد والعمائر والتحف الأثرية، وهذه النقوش إلى جانب تسجيلها أدعية وآيات قرآنية، قد حوت كثيرا من الحقائق التاريخية التي تمتاز بكونها معاصرة للأحداث، ومحايدة، وصحيحة التواريخ، وتصلح بعض النقص الناتج عن تحيز بعض المؤرخين لبعض الحكام الذين يكتبون في ظلهم. هذا إلى جانب إمدادها لنا ببيانات عن الشئون الإدارية والمالية. ومن أهم الكتابات التي تناولت النقوش بالبحث والدراسة في عهد الجراكسة نذكر:

* **حسن الباشا حسن محمود : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار (دار النهضة العربية،** القاهرة ١٩٥٧م). وفيه عرض للمصادر التي استقى منها بحثه كالكتابات الأثرية والسكة والنميات والوثائق والدساتير وكتب الأدب والتاريخ وغيرها[٢]. ثم عرض لمصطلح الكتابة بديوان الإنشاء في الفصل الأول. وفي الفصل الثاني عرض لكتب الدساتير أو كتب الألقاب والمراسيم. وفي الفصل الثالث قدم عرضا تاريخيا لنشأة الألقاب الفخرية الخاصة بأصحاب الوظائف. وفي الفصل الرابع تناول بالدراسة تطور نظم الألقاب وترتيبها. وذيل بحثه بوضع معجم للألقاب. وللمؤلف كتاب آخر يدور حول هذه النقوش بعنوان : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية (ثلاثة أجزاء، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٥/١٩٦٦م). ويدخل في هذا الإطار كتاب:-

Weill J.D: Les bois a Epigraphes Jusqu a L Epoque Mamlouk. (Catalogue General du Musee Arabe du Caire.II vols,Le Caire1931-1936).

*****

رابعاً: تاريخ الفنون

أن دراسة العمائر والتحف تلقي الضوء على بعض الأمور ذات الاتصال الوثيق بالحياة الاقتصادية، وازدهار الصناعات وتطور العلاقات بين أي إقليم وغيره من الأقاليم التي تتأثر به أو تؤثر فيه. كذلك فأن دراسة الأزياء والملابس والأسلحة تحتاج إلى دراسة المنسوجات الأثرية والأسلحة القديمة التي وصلتنا، إلى جانب دراسة الرسوم الآدمية في الصور المرسومة فيما وصل إلينا من مخطوطات مصورة. ومن الكتب التي يمكن الرجوع إليها في هذا الميدان:-

- **مؤلف مجهول: خزانة السلاح (تحقيق نبيل محمد عبدالعزيز،** مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٨م).

---

(١) انظر المرجع السابق : ص٤٤، ٤٥ - ٤٩.
(٢) أنظر ص ٤ - ٦.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

وقد قدم له المحقق بدراسة مهمة عن خزانة السلاح ومحتوياتها في عصر الأيوبيين والمماليك، وذكر آلات السلاح التي حوتها الخزائن وما قيل فيها من أسماء وأوصاف. ثم أعقب ذلك بمجموعة كبيرة من اللوحات التي تصور هذه الأسلحة، نقلها من المخطوطات. وذيل الكتاب بجدول للمصادر والمراجع التي اعتمد عليها وهي من الأهمية بمكان لمن يريد المزيد عن فنون أسلحة المماليك.

- **ومن الكتب المهمة التي تناولت أسماء الملابس عند العرب ووضعها في معجم مفصل معتمد على كتب الرحلات**، وقصص ألف ليلة وليلة وغيرها نذكر كتاب المستشرق الهولندي دوزي والذي رتبه على حروف المعجم العربي:-

Dozy R:Dictionnaire Detaille des Noms des vetements chez les Arabes. (Librairie du Liban,Beirut)

- **حسن الباشا: التصوير الإسلامي في العصور الوسطى (القاهرة ١٩٥٩م).**

- **ديماند: الفنون الإسلامية (ترجمة أحمد محمد عيسى**، القاهرة ١٩٥٣م). وفيه تحدث عن النحت والحفر على الحجر والرخام والجص فضلا عن المقرنصات والفسيفساء.

-**ولفرد جوزف دلفي: العمارة العربية بمصر في القرن الرابع عشر والخامس عشر (ترجمة محمود أحمد**، بولاق ١٩٢٣م).

- **محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (ج١، ٢، ط٢**، القاهرة ١٩٦٢م).

- **حسين عبدالرحيم عليوه: الأسلحة الإسلامية بمتحف قصر المنيل بالقاهرة.** دراسة أثرية (ط١، القاهرة ١٩٨٤م). وفيها تعرض بالدراسة الوصفية لأسلحة الهجوم من سيف وخنجر وطبر المصنوعة من الفولاذ والمختلفة الأشكال. وكذلك درس ما جاء عليها من نقوش دعائية أو تيمنية أو أشعار أو أقول مأثورة سواء بالعربية أو الفارسية أو التركية، وكذا ما ورد على بعضها من أسماء الصناع، وما ورد من أشكال أو تكوينات هندسية وخطوط وتكفيت. وبالنظر إلى هذه الدراسة تبين لنا أنه ورد بها سيف مقوس يرجع تاريخ صنعه إلى ٨٨٥هـ ١٤٥١م[١] وللمؤلف دراسات أخرى منها : السلاح المعدني للمحارب المصري في عصر المماليك (رسالة دكتوراه بآداب القاهرة ١٩٧٤م)، ودراسة أخرى بعنوان : دراسة لبعض الصناع والفنانين بمصر في عصر المماليك (دورية كلية الآداب جامعة المنصورة، العدد الأول، مايو ١٩٧٩م). ودراسة أخرى بعنوان: المعادن (ضمن بحوث القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها، القاهرة ١٩٧٠م).

- **زكي محمد حسن وله دراسات عدة عن تاريخ الفنون في مصر ودولة المماليك نذكر منها : الفن الإسلامي في مصر (القاهرة ١٩٣٥م) وكتاب : فنون القاهرة (القاهرة ١٩٤٨م) وفيه تعرض لعمائر الجراكسة من عسكرية ومدنية والرسوم والزخارف في** عهدهم وكذا الخزف والمنسوجات والتحف المعدنية والزجاج والبلور. وله أيضا: أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية (القاهرة ١٩٥٦م).

- **ومن الكتب المهمة كتاب ماير : الملابس المملوكية (ترجمة صالح الشيتي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٢م). وهو من الكتب المهمة التي تناول فيها المؤلف أزياء وملابس الخليفة والسلطان والأرستقراطية العسكرية ورجال الدين وخلع التشريف وأزياء أهل الذمة وأزياء النساء[٢].

واصفا هذه الملابس وأسماءها وما طرأ عليها من تطورات، ومادة صنعها، وما حوته من رسوم وطراز

(١) أنظر المرجع السابق : ص٢٦.
(٢) أنظر ص ٢٣، ٢٩، ٣٩، ٨٩، ١٠١، ١١٥، ١٢٣.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

وتأثيرات. كذلك تناول في ثنايا ذلك أغطية الرأس وما ينتعل في القدمين وزود كتابه بعدد يزيد عن عشرين لوحة مصورة من المخطوطات والمتاحف والمكتبات العالمية تبرز مادة كتابه.

- **وعن فنون الزخرفة على الزجاج (المشكاوات المدهونة بالمينا) والنحاس (الشمعدانات والكراسي والأواني والأسلحة)**. والكتابات الكوفية أو النسخية المحاطة بالرسوم الهندسية أو الفروع النباتية أو الرسوم الحيوانية أو الآدمية فقد تناولها

Wiet: Objets en cuivres 1932.

- Lampes et Bouteilles en verre emaille.(Catalogue general du Musee Arabe du Caire. Le Caire 1922.)

.Poole S L:Saracenic art. The art of the saracenis in Egypt. London1886

- **وخير شاهد على الثروة الدافقة التي نعمت بها دولة المماليك هو رقي الفنون في عهدهم وبلوغها أسمى درجات الرقي**، ومازالت تحفهم الفنية تزخر بها دور الآثار في العالم، فضلا عن عمائرهم فائقة الحسن من مساجد وقصور ومدارس، وعن الرسوم النباتية والحيوانية والأشكال الهندسية التي زخرفت الصناعات المملوكية وأبرزتها يمكننا الرجوع إلى :-

* **سعيد عبدالفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام (ط٢، القاهرة ١٩٧٦م).**

Hobson R. L:A Guide to the Islamic Pottery of the Near East.London1944.

*****

خامسا: السكة أو النميات

وهي وثائق رسمية صحيحة لا يسهل الطعن في قيمتها، وفضلا عن كونها مؤشرا عن الحالة الاقتصادية في مصر الجركسية، فإنها أيضا تضم سجلا للألقاب والنعوت وبعض النواحي ذات الصلة الوثيقة بالنظم والاتجاهات الدينية والحقائق السياسية والاجتماعية. ومن الكتب التي تلقي الضوء على ذلك :-

* المقريزي: أ- شذور العقود في ذكر النقود. وقد تعرض له بالدراسة كل من:

Tychsen:A Al-Makrizi historia Monetae.Rostock1797.

De Sacy S:Traite des Monnaies Musulmanes, Trad.de l Arabe de Makrizi.(Bibliotheque des Arabisants Francais Tome1.pp9-60,Le caire, Imprimere de L Institut Francais, d Archologie Orientale,1905)

ب- إغاثة الأمة بكشف الغمة (نشر وتحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، القاهرة (١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م) والكتاب يتعرض لما حل بمصر من غلوات ومجاعات مبينا الأسباب التي نشأت عنها هذه المحن. وقد جاء العامل النقدي من بين هذه الأسباب. وعند الحديث عنه تعرض بالشرح لنقد مصر الجركسية من ذهب وفضة وفلوس نحاسية، والتي أدى الإكثار منها إلى إصابة الدولة بالتضخم النقدي. وممن قام بدراسة هذا الكتاب والتعليق عليه نذكر:

Allouche, Adel:Mamluk Economics.(University of Utah press.Salt lake city.)

* الأب أنستاس ماري الكرملي: رسائل في النقود العربية والإسلامية وعلم النميات (ط٢، مكتبة الثقافة

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

الدينية، القاهرة ١٩٨٧م). في هذا الكتاب قام الكرملي بنشر مجموعة من الرسائل عن النقود وهي:- رسالة عن النقود للبلاذري، ما ورد في مقدمة ابن خلدون عن النقود، رسالة في الدنانير المسكوكة مما يضرب بالديار المصرية للقلقشندي، كتاب النقود القديمة والإسلامية ونقود مصر للمقريزي، كتاب تحرير الدرهم والمثقال والرطل والمكيال وبيان النقود المتداولة بمصر لمصطفى الذهبي الشافعي. ثم دراسة عن علم النميات. وقد استعرض في كتابه النقود الفضية والذهبية والنحاسية، كذلك تعرض لدراسة الكني والألقاب الواردة على النقود وكذا المواد التي تتخذ منها النقود. وإلى جانب ما سبق تعرض لذكر الموازين والمقاييس والأثمان، وفسر الألفاظ الغربية والدخيلة. كل هذا ما جعل الكتاب لا غنى عنه لأي باحث في تاريخ العملة المصرية سواء في صدر الإسلام أو العصر الوسيط والمملوكي أو الحديث.

* ومن الكتب المهمة ما كتبه عبدالرحمن فهمي محمد : النقود العربية ماضيها وحاضرها (القاهرة ١٩٦٤م). وقد عقد فيه فصلا عن النقود المملوكية تحدث فيه عن تطورها وأنواعها من دنانير ودراهم وفلوس ودوكات وغيرها من العملات الأجنبية التي سرت في مصر آنذاك. ثم تناول استعمال النقود بالوزن أو العد، ودور طائفة الزغلية في ذلك، ثم محاولة برسباي لتمصير النقود الافرنتية، ومدى ما انتاب العملة من تدهور في أواخر الدولة مما اضطر الغوري إلى مفاوضة البندقية لاستبدال النحاس بالتوابل، كما زود كتابه بالعديد من صور النقود في مصر[1].

* أيضا من الكتاب الذين تناولوا النقود الإسلامية في مصر وسورية :

Lavoin:Catalogue des Mounaies Musulmane de la Bibliotheque Nationales.T.III Egypte et Syrie.(Paris1887-1891)

* وأيضا من الكتب الهامة عن العملات المعدنية كتاب:

Lane Poole S:Coins and Medals.London1892.

* رأفت محمد النبراوي: الدوكات الذهبية البندقية المحفوظة في المتحف اليوناني والروماني بالإسكندرية. (مجلة الدارة السعودية، العدد ٤، السنة ١٧، الرياض ١٤١٢هـ). وفيه تحدث عن الدوكات ونقوشها مصححا بعض الأخطاء التي وقع فيها بعض مؤرخي المماليك في إطار حديثهم عنها مثل القلقشندي. إلا أن أهم كتب المؤلف في هذا السياق كتابه عن : النقود الإسلامية في مصر عصر دولة المماليك الجراكسة. (ط٢، القاهرة ١٩٩٦م) وهو في الأصل رسالته للدكتوراه حيث تناول في مقدمة الباب الأول داري الضرب المصريتين في عصر دولة الجراكسة، وهما الإسكندرية والقاهرة. كذلك تناول ذكر بعض أسماء الموظفين الذين عملوا بهاتين الدارين. وفي الفصل الأول من الباب الأول تحدث عن السكة الذهبية، ونشر ٢٣٤ قطعة من النقود الذهبية التي لم يسبق نشرها والمحفوظة بمتحف الفن الإسلامي ودار الكتب المصرية وجمعية النميات الأمريكية. وفي الفصل الثاني تناول السكة الفضية. وفي الفصل الثالث تناول السكة النحاسية والبرونزية ونشر في هذه الفصول المئات من قطع النقود التي لم يسبق نشرها. أما الباب الثاني فقد خصه بذكر أسعار مبادلة السكة الإسلامية في مصر عصر دولة المماليك الجراكسة. وقد جاء في أخر كتابه ملحق واحد عبارة عن معجم مصطلحات النقود المتداولة في عصر المماليك الجراكسة. وقد نشر المؤلف حوالي ١٣٤ صورة لقطع النقود الجركسية المختلفة ما بين نقود ذهبية وفضية ونحاسية، كذلك يحتوي الكتاب على حوالي ثلاثين صورة لبعض الرموز والعلامات التي كانت تظهر على النقود المتداولة في ذلك العصر.

(١) انظر ص ٨٤ - ١١١.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

* ومن المستشرقين الذين اهتموا بالعملة المملوكية نذكر بول بالوج:

Paul Balog: The Coinage of the Mamluk Sultans of Egypt and Syria.(The American Numismatic Society.New York1964).

وقد تناول المؤلف في هذا الكتاب النقود المختلفة التي ضربها سلاطين المماليك في مصر وسوريا حسب التسلسل التاريخي معتمدا في ذلك على الكثير من مجموعات النقود العالمية المختلفة، مثل مجموعة المتحف البريطاني بلندن، ومجموعة المكتبة الأهلية بباريس، ومجموعة جمعية النميات الأمريكية بنيويورك، ومجموعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، وبعض المجموعات الخاصة. وقد عرض مؤلف هذا الكتاب عند دراسته هذه النقود لأهم الطرز التي ضربت بها، وكذلك عرض لأوزانها وقطرها وسنة ضربها ومكان الضرب، واسم السلطان الذي قام بضربها إلى غير ذلك من المعلومات.

وللمؤلف مقال آخر بعنوان : كنز من النقود النحاسية المملوكية المتأخرة:

A Hoard of Latc Mamluk Copper Coins.(Numismatic chronicle 1962)

وفيه قام المؤلف بنشر مجموعة من النقود النحاسية المملوكية التي ترجع إلى عهود كل من السلطان قايتباي وابنه السلطان أبو السعادات محمد، وكذلك السلطان قنصوه الغوري. وهذه القطع تشكل مجموعة من الأنماط والطرز المختلفة للنقود النحاسية المملوكية.

* ومن المؤلفين الآخرين جيري باكاراك في مقالته عن السياسة النقدية الجركسية (الفضة):

Jere L Bacharach:Circassian Monetary Policy “Silver”. (Numismatic chronicle1971)

وتناول فيها المؤلف النقود الفضية الجركسية مبينا أسماءها وأوزانها ودرجة عيارها، ونسب إبدالها. وكذلك تناول التطورات المختلفة التي مرت بها هذه النقود الفضية في عصر الجراكسة. ومن المقالات الأخرى للمؤلف نفسه مقال بعنوان الدينار يتحدى الدوكه:

The Dinar versus the Ducat.(International of Journal of Middle East Studies 1973)

وتناول في هذه المقالة علاقة الدينار المملوكي بالدوكة وكذلك نسب إبدال الدوكة بالدراهم الفضية والدراهم النحاسية المملوكية، موضحا الأسباب التي أدت إلى سيطرة الدوكات على الأسواق المحلية المملوكية منذ سنة ٨٠١هـ حتى سنة ٨٢٩هـ، ومبينا أسباب فشل الدينار المملوكي في الحلول محلها وحتى نهاية العصر المملوكي. أيضا للمؤلف مقالة ثالثة عن السياسة النقدية الجركسية (النحاس):

Circassian Monetary Policy:Copper.(Journal of the Economic and Social History of the Orient,1976).

وقد بدأ هذه المقالة بعرض بعض الآراء التي ذكرت أن عصر الجراكسة هو عصر النحاس. ولكن المؤلف عارض كل هذه الآراء في مقالته، وكذلك فقد تتبع التطورات المختلفة التي مرت بها النقود النحاسية، حيث قسم المراحل التي مرت بها هذه النقود في العصر المملوكي إلى ثلاث مراحل....

* ومن الكتاب البارزين في دراسة النواحي الاقتصادية في دولة المماليك الياهو آشتور، وله مقال بعنوان دراسات في النظام النقدي للمماليك الجراكسة:

Eliyahu Ashtor:Etudes Sur Le Systeme Monetaire des mamlouks Circassien. (Israel Oriental Society1978)

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

وفيه تناول أهم أنواع النقود في عصر الجراكسة، وتعرض للعلاقة بين النقود الذهبية البندقية، والنقود الذهبية المملوكية، وكذلك الكميات التي كانت تصدر من الدوكات إلى مصر.

* ومن الجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أحدث الأطروحات التي تتناول جانبا مهما في موضوع العملة الجركسة، وهي الرسالة التي أعدها الطالب رضا رمضان أبو الزهر : الزغل في مصر والشام زمن سلاطين المماليك. (رسالة ماجستير بآداب المنصورة، ٢٠٠٣م). وفيها عرف الزغل، وبين أسباب انتشاره في عصر المماليك، وبين الطرق التي اتبعها المزيفون في عملهم، وبين أثر ذلك على نواحي الدولة المختلفة. وقد ألحق برسالته حوالي ثلاثين جدولا تناول فيها لأوزان وعيار عدد كبير من النقود المملوكية.

* * * * *

سادسا: كتب الجغرافيا

لما كان هناك ارتباط وثيق ما بين الجغرافيا (علم المكان)، والتاريخ (علم الزمان)، فقد اهتمت بعض المصادر والمراجع بهذه الناحية، وقبل حديثهم عن تاريخ المماليك حرصوا على الحديث عن جغرافية مصر في تلك الفترة لما لهذه الناحية من أهمية في توجيه أحداث التاريخ.

ونذكر من هؤلاء:-

* محمد بن بهاء الدين الخالدي (ت ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م): المقصد الرفيع المنشأ الهادي إلى صناعة الإنشاء. (مخطوط مصور بجامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٤٥) وقيد المناقشة حاليا بآداب المنصورة.

* تقي الدين بن علي المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. خاصة الجزء الأول.

* أحمد بن علي القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا. حيث تناول في الأجزاء: الثالث والرابع والخامس، والتي هي عبارة عن المقالة الثانية، ذكر الأرض وجغرافية مصر والبلدان المحيطة بها والنيل وأنواع الأراضي.... إلخ، وقد تعرض لمناقشة الجغرافيا في موسوعة صبح الأعشى نفر من العرب، وبعض المستشرقين، ذكر سوفاجيه[1]. منهم فوستنفلد في كتابه:-

Calcashandi s Geographie und Verwaltung von Agypten.(Abhan dlungen der Gesellschaft der wissenschaften zu Gottinge.XXV,1879)

* محمد بن أحمد بن إياس : في كتابيه : بدائع الزهور (خاصة الجزء الأول القسم الأول)، ونزهة الأمم في العجائب والحكم. (مخطوط مصور بجامعة القاهرة تحت رقم ٢٢٩٦٣) وتحدث فيه عن جغرافية مصر نقلا عن خطط المقريزي.

* علي بن داود الصيرفي: (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م): الدر المنظوم في ما ورد في مصر وأعمالها بالخصوص والعموم. (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٦٦ تاريخ).

وهناك أيضا:-

Maspero et wiet:Materiaux pour servir a la Geographie d egypte.(Mem.Inst. Fr. Are. Or.T36,leCaire1914.)

Omar Toussoun Geographie :de L Egypte a L epoque Arabe.(Mem.de la soc. Roy.de Geographie d Egypte 1926).

Demombynes M.G:la Syrie a L epoque des Mamelouks d apres les auteurs Arabes:description Geographique,economiques et administrative.(Paris1923)

* * * * *

(١) المرجع السابق : ص٢٨٩.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبد الرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

سابعا: كتب التراجم

من الأهمية بمكان أن نعرض لبعض كتب التراجم التي تناولت سير رجال دولة المماليك الجراكسة، سواء كانوا سلاطين أو أمراء أو علماء، وذلك لما تحويه هذه التراجم من معلومات شتى عن أصحابها ووظائفهم، مما يخدم الباحث في الوقوف على حالة العصر ومعرفة كثير من نظم الدولة. ومن بين هذه الكتب نذكر:-

* أبو الحسن عمر البقاعي : عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران. (مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ١٠٠١ تاريخ).

* محمد بن أبي السرر البكري (ت ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م): النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية. (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٦٦ تاريخ).

* عبدالباسط بن خليل بن شاهين الظاهري (ت ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م): الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم. (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٤٠٣ تاريخ تيمور، ميكروفيلم ٥١٥١٥).

* شهاب الدين احمد بن عربشاه (ت ٨٤٦هـ): سيرة السلطان الملك الشهيد الظاهر جقمق. (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٩٣ تاريخ، ميكروفيلم ٣٥٩٤٨).

* مجهول: إثبات الدلالات على نصرة الملك الناصر أبي السعادات. (مخطوط بدار الكتب المصرية، ميكروفيكم ٤٨٤).

* جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م): المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي. (ج١ -٢ تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة ١٩٨٤م). وأورد به ٢٢٢ ترجمة. أما الجزء الثالث فقد حققه نبيل محمد عبدالعزيز (القاهرة ١٩٨٦م)، بينما حقق الجزء الرابع محمد محمد أمين (القاهرة ١٩٨٦م)، وقد أنهاه بالترجمة رقم ٨٥١. وقد تعرض بالدراسة لهذا الكتاب:-

Wiet:Les Biographies du Manhal Safi.(Memoires a l Institut d Egypte.Le Caire1932)

* شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ /١٤٤٩م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. (تحقيق محمد سيد جاد الحق، ط٢، خمسة أجزاء، القاهرة ١٩٦٦م).

* عبدالحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب. (ج١ -٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت. د ت).

* شمس الدين السخاوي (ت ٩٠٣هـ / ١٤٩٨م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. (ج١-١٢، القاهرة ١٣٥٣/١٣٥٥هـ).

* جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) : نظم العقيان في أعيان الزمان. (تحقيق فيليب حتى، بيروت ١٩٢٧م). وله كتاب آخر بعنوان : تاريخ السلطان الأشرف قايتباي، ونشره:

Lehranstalt, K.K Offentlichen:Jahresbericht Fur Orientalische Sprachen. (Wien1884)

* بدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م): السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي. (تحقيق فهيم شلتوت، القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).

* المقريزي: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة. (ج١ - ٢، تحقيق محمد كمال الدين، بيروت

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

١٩٩٢م). وله كتاب آخر عبارة عن عدة أجزاء وهو : المقفى الكبير. (مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٥٣٧٢ تاريخ).

* محمد بن محمد بن صصري (ق٨ هـ): الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية. (تحقيق وليم برينر، لوس أنجلوس ١٩٦٣م).

- والمؤلف كاتب شامي اختص كتابه بذكر تاريخ السلطان الظاهر برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة بصفة خاصة، وتاريخ دمشق بصفة عامة. وقد رتب كتابه حوليا بدءا من ذكر أحداث سنة ٧٩١هـ -٧٩٩ هـ /١٣٨٩م - ١٣٩٧م، موزعا الحوادث على الشهور العربية، ويبدو أن هذا الكتاب عبارة عن تلخيص لكتاب آخر للمؤلف ذكر أن اسمه: درر الأفكار في غرائب الأخبار[١]. وهو كتاب موسع عن حوادث عهد السلطان برقوق إذ يقول فيه: «اختصرت سيرة مولانا السلطان الملك الظاهر... فجمعت أحسن ما فيها من الكلام... وقد سميتها الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية»[٢]. والكتاب بصفة عامة يؤرخ لعهد السلطان برقوق، لذا أبدي الكاتب تعاطفا كبيرا معه وبرر أفعاله ومجدها ربما تملقا، وفي المقابل عاب أفعال منافسيه مثل منطاش وأصحابه واصفا إياهم: «قبحهم الله، ما كان أكثر أذاهم»[٣]. ومن خلال الإطلاع على هذا المصدر يمكن الخروج بالكثير عن حالة مصر والمماليك آنذاك، والوقوف على أحوالهم ومعرفة الكثير من نظمهم. والكتاب بحق احتوى على تفاصيل عدة نفتقدها في غيره. ورغم كل ذلك إلا أنه يمكن أن نأخذ عليه بعض الملاحظات، منها :-

١- فيما يتعلق بمصادره:

أ- فقد ذكر ابن صصري أحيانا المرجع الذي نقل منه دون أن يشير إلى مؤلفه. والمثال على ذلك أنه أخذ عن كتاب «كشف الكروب في أيام ملوك بني أيوب»[٤]. وصحته مفرج الكروب لمؤلفه ابن شداد.

ب- أحيانا ذكر اسم المرجع ومؤلفه. ومن بين مما ذكر أنه أخذ عنهم: محي الدين النواوي في كتابه الأذكار، والزمخشري في كتابه ربيع الأبرار، والشيخ عماد الدين بن كثير في تاريخه، والمسعودي في كتابه مروج الذهب، والحريري في درة الغواص، وابن أبي حجلة التلمساني في كتابه السكردان ، والحافظ بن عساكر في تاريخ دمشق[٥].

ج- أحيانا لم يذكر المؤلف ولا المصدر، بل يكتفي بقول : جاء في كتب التواريخ...[٦].

د- ما سمعه من أصحابه: «وقد ذكر لي بعض أصحابي»، «لقد حكى لي بعض أصحابي»، «وقد ذكر لي بعض كبار الناس»، «قال لي رجل من القوم»[٧].

٢- اقتبس ابن صصري كثيرا من التعبيرات التي وردت على ألسنة رجال الدولة ونقلها حرفيا في كتابه.

٣- أكثر في كتابه من الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والأقوال المأثورة، وأقوال الحكماء، وأيضا الأشعار التي تعبر عن الواقعة التي يحكيها.

٤- طغى على كتابه الاستطراد، إذ أنه في سياق روايته لحوادث عصره أورد الحوادث المشابهة لها في

(١) انظر ص ٦١ من هذا الكتاب.
(٢) انظر ص ١ من الكتاب.
(٣) انظر ص ٨٦ من الكتاب.
(٤) انظر ص ٤٤ من الكتاب.
(٥) انظر صفحات ١٣، ٤٣، ١٠١، ١١٠، ١١٧ من الكتاب.
(٦) انظر ص ٣ من الكتاب.
(٧) انظر ص ٢، ٣٩، ٤٥، ١٠٢ من الكتاب.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

التواريخ السابقة تحت عنوان: «حكاية في المعنى»، وبعد الانتهاء يذكر: «ثم نعود إلى كلامنا». وقد تكرر هذا مئات المرات خلال كتابه. مثال ذلك: عند ذكره لنهب بيت الهذباني بدمشق أورد حكاية مشابهة عن هشام بن عبدالملك بن مروان[١]. وعند روايته لتنازل برقوق عن الحكم، قرنها بقصة مروان بن محمد آخر الأمويين[٢]. وعند ذكره لحصار دمشق أبان فتنة منطاش ٧٩٢هـ/١٣٩٠م حكى بعدها عدد المرات التي حوصرت فيها دمشق بدءا من العباسيين حتى وقته[٣]. وفي سياق رواية له عن رجل كثير الكلام في عهد برقوق وكان مصيره القتل، أورد حكايات أخرى كثيرة تماثلها في التاريخ، وذلك تحت عنوان: «انحرافات عن كثرة الكلام»[٤]. وقد زادت انحرافات ابن صصري هذه إذ ذكر: «انحرافات في الصبر». منذ قابيل وهابيل، «وانحرافات على الحاكم العادل»، «انحرافات في الجزاء بعد الموت»[٥].

٥- الكتاب خير شاهد عما آلت إليه اللغة العربية - خلال عصر الجراكسة - من ضعف وركاكة وإغراق في العامية، وضعف إنشائي ونحوي. ومن بين ما جاء فيه نذكر العبارات التالية: حلب ست المدن، مايبان منهم سوى الحدق، نزلوا في الموادين، وبعد يومين جابوه، وهذا في موازينه، الناس في إطمان، وقتلوه وشلحوه قماشه وشحطوه، يزعق في الأبطال، يأخذوا مالك وعينك في عينهم، بقيت دمشق مرهجان، إذا لم تستحي.... وغير ذلك مما لا يحصى.[٦]

ومن كتب التراجم والوفيات نذكر:-

* ابن قنفذ القسنطيني، أبو العباس احمد بن حسن بن علي بن الخطيب (ت ٨٠٩هـ) : كتاب الوفيات. (تحقيق عادل نويهض، ط٣، دار الأفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٠م). وقد سار فيه المؤلف على طريقة ذكر العشرة الأولى من كل قرن، يتبعها بالعشرة الثانية حتى العشرة العاشرة ليبدأ في سرد عشرة أولى جديدة من قرن جديد. وقد ختمه بذكر العشرة الأولى من المائة التاسعة. ورغم قلة عدد ما ذكره من وفيات، واقتضابه في شرح كثير من تفاصيل حياتهم، إلا أنه أيضا من المصادر الخاصة بفترة البحث. وما يميزه أنه من وجه نظر رجل ينتمي لأهل المغرب العربي، اهتم بذكر وفيات مشاهير العالم الإسلامي عامة - ومنها مصر - والمغرب العربي خاصة. وقد جعل كتابه هذا ذيلا لكتاب شرف الطالب في أسنى المطالب لمؤلفه الفقيه الحافظ أبي عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن المراكشي الضرير[٧].

* محي الدين عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله العيدروسي : تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر. (المجلد ليس عليه أي بيانات نشر) والكتاب خصصه واضعه لذكر الوفيات والترجمة لها. ولكنه في خضم ذلك اهتم بذكر بعض الأحداث العامة كزوال دولة المماليك، أو وقوع زلزلة، أو هياج ريح... الخ[٨]. كذلك اهتم بالدرجة الأولى بذكر وفيات الفقهاء والعلماء كالسيوطي - والذي ترجم له طويلا وعرف ببلده سيوط، وذكر عنها كثيرا مما قاله القزويني[٩]- وفي ترجماته صرح دائما بمن نقل عنهم كالسخاوي وغيرهم. وقد دافع عن زلات بعض تراجمه واعتبرها هفوة، ويجرنا هذا إلى استعماله أحيانا بعض الألفاظ القاسية كقوله: «ربما

(١) انظر ص ١٣ - ١٤ من الكتاب.
(٢) انظر ص ١٨ - ١٩ من الكتاب.
(٣) انظر ص ٤٣ من الكتاب.
(٤) انظر ص ٤٥ من الكتاب.
(٥) انظر ص ١٠٥، ١٤٢، ١٩٤ من الكتاب.
(٦) انظر صفحات ٤، ٧، ٨، ١٣، ٣٥، ٤٣، ٥٨، ٦٥، ٩٦، ١٠٠، ١٥٩.
(٧) انظر مقدمة المحقق، ص ٥ - ١٩
(٨) انظر ص ٩٢، ٩٣، ١٠٧.
(٩) انظر ص ٥٤، ٥٧.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

أنه يشكل ما صدر منهم في مثل ذلك على بعض الأغبياء ميل أكثر الناس بالطبع إلى الفسق والفجور»[١]. وقد افتتح كتابه بذكر المصطفى محمد ﷺ وذكر كثيرا من الأحداث التي وقعت في عهده من غزوات وغيرها، ثم تلى ذلك بذكر وفيات سنة احدى وتسعمائة، وفيها أفرد ترجمة للسلطان قايتباي ناقلا أكثرها مما قاله السخاوي[٢]. وأن كانت ترجماته الحولية ليست كثيرة، إلا أنه اختصر عند ذكر البعض وأفرد الحديث عن البعض الآخر كل حسب مكانته. وفي ترجماته للأفراد ذكر اسم اليوم وتاريخه وشهره وسنته مبتدئا بمولده وحياته وتعليمه، وما وقع له في حياته، والترجمة لبلده وشيوخه الذين تتلمذ على أيديهم، ومؤلفاته - إن وجدت - ووظائفه.

* نجم الدين محمد بن احمد الغزي (ت ١٠٦١هـ): الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة. (ثلاثة أجزاء، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، ط٢، بيروت ١٩٧٩م). وقد ضم الجزء الأول تراجم الوفيات من أول سنة ٩٠١ حتى أخر سنة ٩٣٣ وهو ما يهمنا. وقد ترجم المحقق لحياة المؤلف من حيث مولده ومؤلفاته[٣]. وقد رتب الغزي كتابه أو تراجمه على حروف المعجم إلا المحمدين فقد وجدناه جمعهم في بداية التراجم، ثم أتبعهم بالأعلام التي أولها حرف الألف حتى الياء. وقد اعترف في مقدمة تراجمه بمصادره، وهي: النقل من الثقات، وما يتلقاه من أفواه المعتبرين، وما أخذه عن الفضلاء من العلماء، وما توصل له من تحر واجتهاد[٤]. ومن أشهر الكتب التي نقل عنها : الإعلام بما في مكة من الأعلام لابن قاضي خان، وكتاب در الحبب في تاريخ أعيان حلب لمؤلفه رضي الدين بن الحنبلي الحلبي الحنفي، وأيضا تاريخ شمس الدين بن طولون[٥]. وعن سبب تأليفه الكتاب ذكر أنه لم يدفعه لذلك تقدمه على أئمة العصر الحافظين لأصل العلم وفرعه، بل «رأيت إيثار الراحة والدعة على الجد والدأب، قد غلب في هذا العصر، وصار دأبا لأكثر أهل الفضل والأدب، بادرت إلى انهاز هذه الفرصة، وصرفت من شباب العمر أوفر حصة.... وجئت من سبأ التحقيق بنبأ أبناء هذا الزمان بإمكان ما ظنه المتواني... قد تعذر أو تعثر»[٦]. ويلاحظ على هذا المصدر ما يلي:- اهتم بإيراد تراجم بعض السلاطين مثل : جان بلاط، وقنصوه الغوري. كذلك لم تقتصر تراجمه على الرجال، بل أورد تراجم لبعض النساء مثل فاطمة بنت التدافي الحنبلي وخديجة بنت محمد. أيضا جاءت بعض الأحرف خالية من الترجمات مثل حرف الضاد. ويوجد تباين في ترجماته إذ بلغ بعضها السطرين، بينما بلغ البعض الأخر اثنتي عشرة صفحة [٧].

ويدخل ضمن كتب التراجم المصنفات التي تناولت الخلفاء ومنصب الخلافة. والملاحظ أن هذه المصنفات تناولت تاريخ الخلفاء منذ عهد أبي بكر الصديق حتى عصر كل مؤلف.

ومن أشهر هذه الكتب:-

-مرعي بن يوسف المقدسي (ت ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م): نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين. (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٧٦ تاريخ).

-حسن بن أحمد الطولوني (ت ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م): النزهة السنية في ذكر الخلفاء والملوك المصرية، (القسطنطينية ١٣٠٢هـ).

---

(١) انظر ص ٦٤، ٦٥.
(٢) انظر ص ١٥.
(٣) انظر ص، ك - ر.
(٤) انظر ص ٥.
(٥) ص ٦، ١٤١.
(٦) ص ٨.
(٧) عن هذه الملاحظات انظر صفحات: ١٤٩، ١٦٠، ١٧١، ١٩٢، ١٩٦، ٢١٥، ٢٩٤.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

- أبو العباس أحمد القلقشندي (ت٨٢١هـ /١٤١٨م) : مآثر الإنافة في معالم الخلافة. (تحقيق عبدالستار أحمد فراج، الكويت ١٩٦٤م).

-جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م): تاريخ الخلفاء. (تحقيق إبراهيم صالح، ط٢، بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

*من المراجع التي تناولت ترجمات من عصر المماليك الجراكسة نذكر :-

-عبدالمنعم ماجد : طومان باي. (القاهرة ١٩٧٨م).

-محمد رزق سليم : الأشرف قنصوه الغوري (القاهرة ١٩٦٣م).

-ليلى عبداللطيف أحمد : مصر على مفرق الطرق. خاير بك المملوكي. (ط١ القاهرة ١٩٨٧م).

Arnold S T:The Caliphate.(Oxford1924).

Muir W Tw: The Caliphat, Its Rise,Decline and Fall.Oxford1902

*****

ثامنا: كتب الرحلات

تزخر كتب الرحلات التي كتبها الرحالة في العصور الوسطى بكثير من الحقائق التاريخية، ومعلومات قيمة عن المجتمع المصري، وعن الحالة الاقتصادية والسياسية. ومن أهم هذه الكتب التي لا غنى عنها لمن يتصدى لتاريخ دولة المماليك الجراكسة:-

- أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي (ت٨٩١هـ): رحلة القلصادي. (تحقيق محمد أبو الأجفان، تونس ١٩٧٨م). والتعريف بالقلصادي هو : علي بن محمد بن علي القرشي البسطي أبو الحسن الشهير بالقلصادي، ولد في مدينة بسطة الأندلسية الواقعة شمال شرق غرناطة، والتابعة لكورة جيان، ولد بها عام ٨١٥هـ، تلقى العلم على مشايخ مدينته، وبعد أن سقطت معظم مدن الأندلس وجاء الدور على غرناطة بدأ العلماء يهجرونها إلى مختلف البلاد الإسلامية الأخرى ومنهم القلصادي. إذا بدأ رحلته العلمية عام ٨٤٠هـ واتجه إلى تلمسان وتلقى بها العلوم وعلم بها لمدة تزيد عن ثماني سنوات، ثم اتجه منها إلى تونس وأقام بها لمدة سنتان ونصف، ثم ترك تونس واتجه إلى جربة، ثم طرابلس الغرب، ثم الإسكندرية والقاهرة. ولم تطل مدته بهما سوى ستة شهور، بينما في طريق عودته من الحجاز أقام بمصر لمدة ثلاثة عشر شهرا. وبعد هذه الرحلة التي استمرت خمس عشرة سنة استقر في غرناطة، وسرعان ما غادرها عندما رأى أنها تنحدر نحو الهوان من فتن داخلية وأخطار خارجية، فتوجه إلى باجة إفريقيا وظل بها حتى توفي ٨٩١هـ[١]. وفي رحلته يصف لنا مدينة الإسكندرية وعجائبها، ثم القاهرة وازدحامها وجامعها الأزهر وبعض علمائها وبعض الأضرحة، ثم حكى عن مشايخ مصر الذين أخذ عنهم العلم مثل: زين الدين طاهر وقاسم النويري وجلال الدين المحلي[٢]. ومعلوماته عن القاهرة مقتضبة أحيانا، ويعزى ذلك لقصر مدة إقامته، وإن ركز فيها على أنشطته العلمية ولقائه بعلماء مصر آنذاك.

- ومن كتب الرحلات الهامة في عصر الجراكسة نعرض لكتاب القاضي بدر الدين أبو البقاء محمد بن يحيى بن شاكر بن عبدالغني المعروف بابن الجيعان (ت ٩٠٢هـ): القول المستظرف في سفر مولانا الملك

(١) انظر مقدمة المحقق ص ١٧ - ٣٩.
(٢) انظر صفحات ١٢٥، ١٢٨، ١٢٩، ١٤٧ - ١٥٨.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

الأشرف. أو رحلة قايتباي إلى بلاد الشام ٨٨٢هـ /١٤٧٧م. (تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، ط ١، منشورات جروس - برس، طرابلس الشام ١٩٨٤م). ومسجل خط سير هذه الرحلة - التي استغرقت أربعة أشهر هجرية وخمسة أيام من الاثنين ٣٠ جمادي الأولى حتى الخميس ٤ شوال ٨٨٢هـ/١٤٧٧م - ينتمي إلى أسرة لمع كثير من أفرادها في المناصب الإدارية بدواوين دولة المماليك البرجية. وقد استعرض المحقق أفراد هذه الأسرة وبين موقع المؤلف بينهم، ثم ترجم له[١].

- افتتح المؤلف الرحلة بالحمد والشهادتين، ومدح سلطان زمانه (قايتباي) بذكر ألقابه والدعاء له -ثم بدأ بذكر كل منزلة نزلها السلطان منذ خروجه من القاهرة إلى الشام، وعودته ثانية إلى القاهرة، وقد بلغ عدد هذه المواضع ثمانية وستين موضعا.

- عند حديثه عن المواضع بين من اصطحب السلطان، وما فعله السلطان في الموضع، مثبتا اليوم والشهر والسنة التي نزل بها الموضع. مثل قوله عن الصالحية : «وكان توجههم في ليلة الاثنين، سلخ جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وثمان مائة»[٢].

- من خلال ذكر المواضع بين لنا ابن الجيعان ما بها من قبور الصالحين والأنبياء كأبي هريرة وسلمان الفارسي وجب سيدنا يوسف[٣]. كذلك بين لنا جغرافية الأماكن وعمائرها ومناخها وما يمارس بها من مهن، ومشايخها، وكبار رجالاتها، وأسماء متوليها زمن نزول السلطان بها. كذلك بين لنا طباع أهل بعض المناطق، ولم يتحرج في نقدهم. فمثلا قال عن جبلة وأهلها: «بلد صغير وأهله كالبهائم، حتى أن بعضهم قال عند رؤيته لمولانا السلطان لرفيقه : دعني حتى أنظر لربي الصغير!»[٤]. كذلك بين لنا اللغة السائدة لتلك البلاد، والتي غلب على أكثرها اللسان التركي.

- ومن النواحي الاقتصادية تبين لنا أن السلطان ابطل كثيرا من المكوس بالبلاد التي مر بها. فمثلا في حلب أبطل تحكير المصابن، وأبطل رماية الصابون على التجار، وأبطل المكوس على الحطب والتبن بدمشق[٥].

- كذلك ألقت الرحلة الضوء على علاقة الدولة بالإمارات التركمانية التي قامت على حدودها مثل إمارتي : دلغادر وقرمان[٦].

- طوال الرحلة لم يتوان مسجلها عن الدعاء للسلطان في كل مناسبة مثل : أدام الله تعالى أيامه الشريفة، ونصره الله تعالى، وشرفه الله تعالى وعظمه[٧].

- وفي نهاية الرحلة قام ابن الجيعان بعقد مقارنة بينها وبين رحلة السلطان الظاهر بيبرس ٦٦٧هـ ليبين الفرق بينهما من حيث السرية والانفراد والاستتابة والمواطن.... الخ[٨].

- وبالإضافة إلى ما سبق يمكن الخروج بعدة أشياء عن المؤرخ وكتابه مثل :- تميز المؤلف بالدقة في تحقيق وتحرير مادة كتابه، وقد أورد في كتابه كثيرا من المعلومات الهامة لكنها بشكل مقتضب. كذلك تميز أسلوب المؤلف بالوضوح والبعد عن السجع، وإيراد كثير من الكلمات العامية. واعتمدت مصادر كتابه على

(١) انظر المقدمة ص ٨ - ١٥.
(٢) انظر صفحات ٤٦ - ٤٩.
(٣) ص ٥١.
(٤) ص ٥٧.
(٥) ص ٧٠، ٨٧.
(٦) ص ٧٠ - ٧١
(٧) ص ٨١، ٩٧.
(٨) ص ١٠٤ وما يليها.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

المشاركة والمشاهدة العينية للمؤلف بالدرجة الأولى بسبب اشتراكه في الرحلة المسجلة. وأبدى المؤلف تعاطفا كبيرا للسلطان قايتباي ولم يغفل عن الإشادة به دائما وبأعماله.

- ومن المراجع الهامة عن الرحلات في عهد المماليك الجراكسة نذكر :-

* طافور: رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي. (ترجمة وتقديم حسن حبشي، دار المعارف ١٩٦٨م).

Dopp P H:Le Caire Vu Par Les Vayageurs Occidentaux du Moyan Age.(Bulletin de la societe Royale de Geographie d Egypte,T.XXIV,1951).

* وقد ذكر جان سوفاجيه وكلود كاهن بعض كتب الرحالة الذين قدموا وصفا للبلاد ومعلومات عنها[١]. مثل:-

Bertrandon De La Broquiere:Levoyage d outremer.

وهو كتاب من تأليف بروكيير ممثل فليب الصالح دوق بور جوندي، وقد نشره شيفر عام ١٨٩٢م.

Schiltberger:Reisebuch.

وهو كتاب عن الرحلات دونه لاسير البافاريي شيلتبرجر ونشره لنجمنت في (توبنجن ١٨٨٥م) ويوجد منه طبعة بعنوان رحلات هانز في بلاد الوثنية. (هامبرج ١٩٤٧م).

Hans Schitberger Reise in die Heidenschaft.

كذلك كتاب رحلات تاجر متجول وقد نشره أيفانز عام ١٩٣٦م

Balducci Pegolotti:La Pratica della mercantura.

وكتاب رسالة عن المرور بالأراضي المقدسة. ونشره دوب بالقاهرة ١٩٥٠م

Emmanuel Piloti:Traite du passage en Terre sainte.

وهناك كتاب أخر يشمل قائمة بأسماء الرحالة في العصور الوسطى إلى الشرق، وقد نشر في برلين عام ١٨٩٠م وهو:-

Rohricht:Bibliotheca geographica Palestinae.

*****

تاسعا : كتب النظم

عرض بعض مؤرخي مصر المملوكية لدراسة النظم عامة، أو لدراسة بعض نواحيها خاصة. وقد وصلتنا بعض مؤلفات في هذا المجال نعرض لأهمها :-

- في النظام الاقتصادي توجد مجموعة مصادر تتناول النواحي الاقتصادية والمالية منها:-

* شرف الدين يحيى بن شاكر بن عبدالغني بن الجيعان (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م): التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية. (تحقيق مورتز، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٧٤م). وتتبع أهمية الكتاب من كون

(١) انظر كتابهما السابق، ص ٢٩٠ - ٢٩١.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

مؤلفه كان أحد كبار موظفي دولة المماليك ويشغل منصبا مهما وهو متولي ديوان الجيش[١]. وهو أهم دواوين دولة المماليك العسكرية الإقطاعية، وكون هذا المؤلف ينتمي لأسرة عريقة كانت تتحكم في كثير في وظائف الدولة المدنية والعسكرية، ولها دراية بمجريات الأمور في الدولة. والكتاب في مجمله عبارة عن حصر للبلاد المصرية بالوجهين، من ناحية مساحة كل بلد، وعبرتها، وبيان ما بكل بلد من عمار وخراب، ورزق ووقف وأملاك وأسماء مقطعيها، وما يجري منها في دواوين الدولة، وكل ذلك طبقا لما أسفر عنه الروك الناصري الذي أجراه السلطان الناصر محمد بن قلاوون عام ٧١٥هـ/ ١٣١٥م في عهد دولة المماليك البحرية. وأهمية الكتاب بالنسبة لدراستنا تتضح فيما ذكره المؤلف عما آلت إليه أحوال البلاد في عصره (ق٩هـ) وما طرأ عليها من تغييرات في المساحة والعبرة عما كان عليه الوضع في عهد المماليك البحرية. وهنا نلفت النظر إلى أن كثيرا من المحدثين أجروا دراسات مهمة عن محتويات الروك الناصري من خلال كتاب التحفة السنية نذكر منهم:-

* إبراهيم علي طرخان: النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى (القاهرة ١٩٦٨م).
* بولياك: الإقطاعية في سوريا ومصر وفلسطين ولبنان. (ترجمة عاطف كرم، ج١، بيروت ١٩٤٨م).
* جمال الدين محمد الشيال: صفحة من الحياة الاقتصادية في مصر الإسلامية. (مجلة الثقافة، عدد ٩٧، ٩٩، القاهرة ١٩٤٠م).
* محمد رجائي ريان: الإقطاع العسكري في العهدين المملوكي والعثماني. (مجلة الدارة، عدد ٢، سنة ١٤، السعودية ١٩٨٨م).
* السيد الباز العريني: الإقطاع الحربي زمن سلاطين المماليك. (مصر ١٩٥٦م).

Poliak:some notes on the Feudal of the mamluks.(Journal of the Royal Asiatic Society.London1937)

Rabie H.M.:The size and value of the Iqta in Egypt.(Cook:Studies in the Economic History of the Middle East from thre Rise of Islam to the present day. London1970)

Sato:The Evolution of the Iqta System under the Mamluks.(Memoirs of the Research Department of the Toyo Banco, No37,Tokyo1972)

- وقد بدأ المؤلف كتابه بالبسملة والحمدله والشهادتين، ثم ذكر أن الهدف من كتابه ذكر ما بأقليم مصر من البلدان وعبرتها ومساحتها. وقد بدأه بذكر أقاليم مصر إجمالا وذكر عبرتها على ما استقر عليه الحال في أيام السلطان الأشرف شعبان ٧٧٧هـ/ ١٣٧٦م، منوها إلى ذكره عبرة ومساحة البلاد التي تغيرت عبرتها ومساحتها في عهده (ق٩ هـ).

- وقد اتبع ابن الجيعان في كتابه ذكر الأقاليم وبلادها مرتبة على حروف الهجاء، متبعا في ذلك طريق الاختصار. وقد بدأ بذكر أقاليم الوجه البحري على الإجمال وعددها أحد عشر إقليما، وذكر عبرتها وعدد نواحيها[٢]. ثم ثنى بذكر الوجه القبلي وأقاليمه السبعة. وأتبع ذلك بذكر الأقاليم على التفصيل[٣]. ومن الملاحظات التي تؤخذ على ابن الجيعان في كتابه ما يلي :-

(١) انظر مقدمة المحقق ص ١-٢.
(٢) انظر ص ٣.
(٣) انظر ص٥.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

١- هناك بلاد كثيرة ذكر عبرتها ولم يذكر مساحتها مثل : أتفينة بإقليم فوه، وبلوطس والمغطس بالغريبة وغيرها[١].

٢- هناك بلاد كثيرة ذكر مساحتها ولم يذكر عبرتها مثل : جرف السياف بعمل قوص، والبيطون ومحلتي نامون ويحنس بالغريبة وغيرهم[٢].

٣- هناك بلاد لم يذكر مقطعيها زمن الروك أو الأشرف شعبان، وذكر مقطعيها زمنه. مثل جزيرة شندويد بأسيوط[٣].

٤- هناك بلاد ذكر مقطعيها زمن الروك والأشرف شعبان ولم يذكر ما آلت إليه في زمنه. مثل المحيللات بالبحيرة. ومنية المطوعين[٤].

٥- هناك بلاد لم يذكر عبرتها أو مساحتها مثل : البرلس بإقليم نستراوه، ودهمرو بالبهنسا[٥].

* وعلى شاكلة المصدر السابق جاء كتاب إبراهيم بن محمد بن أيدمر بن دقماق (ت٨٠٩ هـ /١٤٠٦م): الانتصار لواسطة عقد الأمصار. (ج٤-٥، ط١، تقديم فولر، مصر ١٨٩٣م).

* المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. (جزءان، دار صادر بيروت، د ت).

* السلوك لمعرفة دول الملوك. (أربعة أجزاء مقسمة على اثنى عشر جزءا، حقق الجزأين الأول والثاني محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٣٤م - ١٩٧٢م، وحقق الجزأين الثالث والرابع سعيد عبدالفتاح عاشور، القاهرة ١٩٧٠م - ١٩٧٣م).

* إغاثة الأمة بكشف الغمة. (تحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٤٠م).

* أبو بكر عبدالرحمن بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م): الاستخراج لأحكام الخراج. (ط١، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

* محمد بن أحمد بن إياس : نشق الأزهار في عجائب الأقطار. (مخطوط بمعهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢١٣٠ تاريخ). وفيه تناول أمر نهر النيل ومنابعه وفيضانه ما بين عامي ٢٢- ٩٢٣هـ. وعن نهر النيل استقى بعض المحدثين معلوماتهم عما ورد في هذا المصدر وغيره، وكتبوا عنه بعض المراجع تنالوا فيها الجسور، وفروع النيل وخلجانه، وتأثيره على الناس، والنظم الاقتصادية التي ارتبطت به، وكذلك الأعياد، والمجاعات التي نتجت عن قلة فيضانه، ومن هؤلاء:-

* قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك (ط١، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٨م).

* محمد حمدي المناوي: نهر النيل في المكتبة العربية (القاهرة ١٩٦٦م).

* محمود رزق سليم: النيل في عصر سلاطين المماليك (الدار المصرية للتأليف، القاهرة ١٩٦٥م).

* غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (ت ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م): زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك. (صححه بولس راويس، باريس ١٨٩٤م).

---

(١) انظر ص ٦٩، ٧٣، ١٣٧.
(٢) انظر ص ٦٨، ٨٩، ١٩٢.
(٣) انظر ص ١٨٦.
(٤) نظر ص ٩٤، ١٢١.
(٥) انظر ص ١٣٧، ١٦٦.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

ومن الأهمية بمكان هنا أن نذكر كتابي :-

Demombynes M.G:la Syrie a L epoque des Mamelouks.(Paris1923)

Quatremara:Histoire des sultans Mamloukes de L Egypte.(II vols,Paris1837)

إذ اهتم الأول بدراسة كتاب صبح الأعشى لمؤلفه القلقشندي وقام بشرح نظم دولة المماليك محاولا في ذلك توضيح وصول الحكم المملوكي، ونظمه المالية والحربية والسياسية. وقد أصدر هذه الدراسة تحت العنوان السابق. أما الثاني فقد قام بترجمة سلوك المقريزي إلى الفرنسية، وموضحا في أثناء ذلك نظم المماليك في مصر، ومعرفا بالمصطلحات التي سادت عصرهم. وأصدر دراسته تحت العنوان السابق وإن كانت تشمل الفترة من عام ٦٤٨- ٧٠٨هـ/ ١٢٥٠-١٣٠٨م إلا إن النظم في الدولتين لم تتغير كثيرا.

ومن المراجع الهامة التي تتناول نظم دولة المماليك السياسية والاقتصادية والحربية والاجتماعية نذكر:-

* عبدالمنعم ماجد: نظم دولة المماليك ورسومهم في مصر. (جزءان، القاهرة ١٩٦٤م).

* ايرا لابدوس: مدن إسلامية في عهد المماليك (تعريب على ماضي، بيروت ١٩٨٧م). وتناول فيه النظم المملوكية داخل المدن، فتحدث في الفصل الأول عن تاريخ المدن في إمبراطورية المماليك. ثم تناول النظام المملوكي في حياة المدن في الفصل الثاني. أما الفصل الثالث فقد اختصه بالمجتمع المدني، وأعقب ذلك بالحديث عن النظام السياسي متناولا أعيان المدينة من تجار وعلماء وذلك في الفصل الرابع. ثم ختم كتابه بالفصل الخامس والذي تناول فيه عامة الشعب واحتجاجاتهم.

Labib:Geld und Kredit.Studien Zur Wirtschafts-Geschichte Aegyptens Im Mittelalter.(J.E.S.H.O,II,1958)

Fischel:Uber Die Gruppe Der Karimi Keufleute.(J.E.S.H.O,I,1958)

Wiet:Les Marchands D epices Sous Les Sultans Mamlouk.(Cahiers D Histoire Egyptienne,VII,1955)

Ashtor:Prix Et Salaires A L Epoque Mamlouke.(R.E.I,XV,1949)

:Le Cout De La Vie Dans Le Procheorient A La Basse Epoque.(J.E.S.H.O,Vol. III,PartI,Leiden1961)

Ayalon D:The Circassians in the Mamluk Kingdom.(Journal of the American

Oriental Society.69/3,New Haven1949)

:Studies on the Structure of the Mamluk Army.(Bulletin of the School of Orential and African Studies.XV/2&3,XV 1/1,London 1953-1954)

:The Muslim City and the Mamluk Military Aristocracy.(Israel Academy of Science and Humanities, II,Jerusalem 1968).

Lapidus I.M:The Grain Economy of Mamluk Egypt(J.E.S.H.O,Vol.XII,Part

.1,Leiden1969)

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

- آمال العمري: المنشآت التجارية في القاهرة في العصر المملوكي (رسالة دكتوراه بآداب القاهرة ١٩٧٤م).

- محمد أمين صالح : التنظيمات الحكومية لتجارة مصر في عصر المماليك الجراكسة. (رسالة دكتوراه بآداب عين شمس ١٩٦٩م، رقم ١٧١٢٢ /١٧١٢٣).

- آشتور : التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى (ترجمة عبدالهادي عبلة، دمشق ١٩٨٥م).

- أنطوان خليل ضومط: الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري (ط٢، بيروت ١٩٨٢م).

- هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى (ج١ - ٢، ترجمة أحمد رضا محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥م - ١٩٩١م).

- وعن نظم التعليم نقرأ :-

* عز الدين المقدسي (ت ٨٢٠) : المفاخرات الباهرة بين عرائس متنزهات القاهرة. (تحقيق محمد الششتاوي، ط١، دار الأفاق العربية، القاهرة، ١٤١٩هـ /١٩٩٩م) وفيها تناول أربع مفاخرات وقعت بين ثمان متنزهات في القاهرة. وهي تمثل لون أدبيا أنتشر في عصر المماليك، اتسم بالطابع الشعبي العامي. ولكنها في الوقت ذاته تلقي بظلال واسعة على الحياة الاجتماعية في عصر المماليك وكذلك تفيد في دراسة التخطيط العمراني والاجتماعي بالقاهرة.

* محمد بن أحمد بن سبط المارديني (ت ٩٠٧ هـ /١٥٠٢م) : شرح اللمع في علم الحساب لأبن الهائم (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣١٥ حساب، ميكروفيلم ٤٥٢٠٠).

* عبدالقادر النعيمي الدمشقي (ت ٩٢٧هـ / ١٥٢١م) : الدارس في تاريخ المدارس (ج١ - ٢، تحقيق جعفر الحسني، دمشق ١٩٤٨م).

* أبو يحيى زكريا بن محمد (ت ٩٢٦هـ) : اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم (صححه أحمد عمر المحماصني ، مصر ١٣١٩هـ).

* عبدالغني محمود عبدالعاطي : التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك (دار المعارف، د ت).

* محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (القاهرة ١٩٦٢م).

* علي سالم النباهين : نظام التربية الإسلامية في عصر دولة المماليك في مصر (ط١، دار الفكر العربي، ١٩٨١م).

* محمد زغلول سلام : الأدب في العصر المملوكي (ج ١ - ٢ ، دار المعارف ١٩٨٠م).

- وعن نظام الأوقاف يمكننا الرجوع إلى ما كتبه :-

* برهان الدين الطرابلسي (ت٩٢٢هـ/١٥١٦م) : الإسعاف في أحكام الأوقاف (القاهرة١٢٩٢هـ).

* محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (ط١، القاهرة ١٩٨٠م).

Rabie H M:Some Financial Aspects of the Waqf System in Medieval Egypt(Egyptian Historical Review,vol.18,1971)pp1-24.

- أما الحياة الاجتماعية فقد اهتمت بها المصادر المملوكية بدرجة متفاوتة، إذ جاءت الطبقة الأرستقراطية

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

في المقدمة والحرافيش في المؤخرة وما بين هذا وذاك جاء العلماء ومياسير العامة وأراذلهم، سواء كانوا مسلمون أو أهل ذمة. فمن المصادر التي أفردت للحديث عن طبقة العربان لمصر المملوكية ومناطق توزيعهم وزعمائهم، وعاداتهم في الطعام والملبس، وحروبهم، ومواطنهم التي نزحوا عنها نذكر:-

* أبو العباس القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (ط٢، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة ١٩٨٠م). وللمؤلف كتاب آخر في الموضوع نفسه هو : قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان (ط٢، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة ١٩٨٢م).

* المقريزي: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب (تحقيق عبدالمجيد عابدين القاهرة ١٩٦١م).

- أما أهل الذمة بشقيهم المسيحي واليهودي فلم يقابلنا في دراستنا لعصر الجراكسة مصدر قد اختص بهم فقط باستثناء مخطوط عبدالله بن زين القاضي المعنون باسم : شروط النصارى (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٩٥٢ تاريخ). وفيما عدا ذلك وردوا في المصادر التاريخية المملوكية شأنهم شأن باقي الطوائف الاجتماعية، مشاركين للمسلمين في أفراحهم وأتراحهم. وتعج المصادر التالية بأخبارهم:-

* إبراهيم بن محمد بن دقماق : الذيل على الجوهر الثمين في سير المملوك والسلاطين (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٢٢ تاريخ). وكتابه الثاني الجوهر الثمين في سير المملوك والسلاطين (تحقيق محمد كمال الدين، ط ١، بيروت ١٩٨٥م).

* شهاب الدين أحمد السلامي (ت ٩٨٩ هـ): مختصر التواريخ (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٥٣ تاريخ).

* جمال الدين أبو المحاسن بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (ج ١٣، تحقيق فهيم شلتوت، القاهرة ١٩٧٠م، ج١٤، تحقيق جمال محرز، القاهرة ١٩٧١م، ج١٥ تحقيق إبراهيم طرخان، القاهرة ١٩٧١م، ج١٦، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٧٢م). وكذلك كتاب: حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور (تحقيق محمد كمال الدين، جزءان ط ١، دار عالم الكتب ١٩٩٠م).

* أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ /١٤٤٩م) إنباء الغمر بأنباء العمر (تسع أجزاء، بيروت ١٩٨٦م).

* شمس الدين السخاوي (ت ٩٠٣هـ/١٤٩٨م): التبر المسبوك في ذيل السلوك (مكتب الكليات الأزهرية، القاهرة، د ت).

* جلال الدين السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (جزءان، المطبعة الشرفية، القاهرة، د ت).

* علي بن داود الصيرفي (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م): نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان (ثلاثة أجزاء، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، ١٩٧٠م - ١٩٧٣م). وللمؤلف كتاب آخر هو :إنباء الهصر بأبناء العصر (تحقيق حسن حبشي، القاهرة ١٩٧٠م).

* ناصر الدين بن الفرات (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٥م) : تاريخ الدول والملوك (ج٧ - ٨، تحقيق قسطنطين زريق، ونجلاء عز الدين، بيروت ١٩٣٩م، ١٩٤٢م).

- ومن الكتب الهامة التي ظهرت في القرن التاسع الهجري (١٥م) لتلقي الضوء على تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في عهد الجراكسة كتاب:-

* محمد بن محمد بن خليل الأسدي (توفى بعد عام ٨٥٥هـ/١٤٥٠م): التيسير والاعتبار والتحرير والاختيار

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار. (تحقيق عبدالقادر احمد طليمات، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٧م).

– بالنسبة للمؤلف فلم يعثر له على ترجمة في كتب التراجم المعاصرة له، وإن استشف المحقق من كتابه أنه كان يشغل وظيفة الحسبة[١]. وعن سبب تأليف الأسدي لكتابه، ذكر في المقدمة أنه بناء على رؤية في المنام للرسول أمره فيها بالنصيحة للإسلام والمسلمين[٢]. فقام بتأليف هذا الكتاب وقدمه إلى محمد بن عبدالرحيم بن الفخر بن الكمال البارزي كاتب السر بالقاهرة آنذاك[٣].

قسَّم الأسدي كتابه إلى مقدمة وأربعة فصول اتبعها بخاتمة وجعل لكل منهم عنوان يدور حول مضمونه: في المقدمة وعنوانها باسم (في الأسباب الموجبة لهذه التذكرة والنصيحة وما يتعين ذكره وعرضه على الآراء العالية والعقول السليمة والأفكار الصحيحة) وفيها قدم عشرة «أصول علية لبيان المقاصد والأسباب» من نصيحته، ثم ذكر ألقاب البارزي كاتب السر الذي قدم له الكتاب وعرف به[٤].

الباب الأول وعنونه باسم: (في بيان الحوادث الحادثة في ممالك الإسلام وما نتج عنها من الفساد الموجب لوقوع الخلل في أحوال الخاص والعام وما يتعلق بالاعتبار وتصريف الأمور والاختيار). وفيه يستعرض تاريخ وأخبار القدماء وما أشيع عنهم من عدل أو تخريب. فيستعرض الفرس والروم والعرب والخلافة الأموية فالعباسية ثم أخبار الطولونيين والفاطميين والأيوبيين ثم المماليك. وهذه الأخيرة ذكر عنها كثير من التفصيلات التي غطت على ما سواها، ومن بينها الأسباب التي أدت لقلة موارد بيت المال وتدهورها في عهد الجراكسة، ثم أردفها بذكر أربعة أسباب أدت لدخول الخلال في الديار المصرية[٥].

الباب الثاني وعنونه باسم: (فيما يتعلق بحسن التدبير والسياسة وما يتعين من حفظ مراتب العلماء والعظماء وذوي الرياسة)، وفيه وجه نصائح عدة لمن يلي أمور المسلمين من أهل التدبير والحكام[٦].

الباب الثالث وعنونه باسم: (فيما يتعلق بالغلاء والجلاء والحروب والفتن وكيفية التدبير للتدرع والخلاص من البلايا والمحن). وفيه شخص كثير من مفاسد العصر مثل نقض العهد، والحكم بخلاف الحق، وظهور الفواحش، ومنع الزكاة، وتطفيف الكيل والميزان، وفساد العملة. ثم قدم ما يجب إن يعمل لصلاح هذه الأمور[٧].

الباب الرابع وعنونه باسم: (فيما يتعلق بحكام المسلمين وما يجب عليهم من مراعاة الأحكام بما يوجبه الشرع من سيرة العدل ونصرة الدين). وفيه يحض على أداء الأمانات، وتحقيق العدل، ونصيحة السلطان، وسياسة الرعية بالعدل والإحسان[٨].

الخاتمة وأوردها بعنوان: (في الوصايا والمواعظ والحكم والفوائد المنقولة). وهي عبارة عن مواعظ ووصايا عدة أوردها مشفوعة بآيات الذكر الحكيم والأحاديث النبوية، اتبعها بذكر تاريخ انتهاءه من كتابه وهو ٨٥٥هـ[٩].

وبعد الحديث عن الأسدي وكتابه يتضح لنا انه كان بمثابة داعي إصلاح، شأنه شأن السبكي في كتابه معيد

---

(١) انظر ص ١١.
(٢) انظر ص ٣٤.
(٣) انظر ص ١١.
(٤) انظر ص ٣٩ – ٥٢.
(٥) انظر ص ٧٨ – ٩٢.
(٦) انظر ص ٩٧.
(٧) انظر ص ١١١، ١٢٩.
(٨) انظر ص ١٤٧ وما يليها.
(٩) انظر ص ١٥٦.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

النعم، وابن الحاج في كتابه المدخل. وينم الكتاب بحق عن شخصية رجل خبير وعاقل على علم ودراية بكل أحوال الدولة، ولديه من الحكمة والحلول ما يمكن إن يصلح أي مجتمع. ومع ذلك يمكن أن نأخذ عليه بعض المأخذ مثل:-

١- عندما استعرض أخبار القدماء وما ورد عن عدلهم أو ظلمهم، جاء عرضه بدون ترتيب تاريخي. فذكر مثلا أخبار جنكيز خان ثم أتبعه بالا كاسرة والقياصرة والفراعنة[١]. وكذا ذكر الفاطميين واتبعهم بالطولونيين[٢].

٢- أحيانا نقل أخبارا عمن سبقه دون التنويه بأسمائهم أو أسماء كتبهم. فمثلا قال عن الإسكندرية : وقيل إن الإسكندرية كانت على جانب البحر من أبو قير إلى مكانها الآن.....[٣].

٣- شأنه شأن الكثيرين نقل أخبارا أو خرافات غير صحيحة عن فراعنة مصر، وردد أخبارا غير صحيحة عن خراج مصر في عهد عمرو بن العاص وعبدالله بن سعد[٤].

٤- أخطأ أحيانا في ذكر عدد أمراء الألوف بمصر، سواء الخاصكية منهم أو الخرجية، رغم ذكره لعدتهم جميعا صحيحة[٥].

هذا وغيره إلى جانب ما كتبه، تيرتون: أهل الذمة في الإسلام (ترجمة حسن حبشي، ط٢، القاهرة ١٩٦٧م).

قاسم عبده قاسم: اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني (ط١، القاهرة ١٩٨٧م) وكتابه الآخر : أهل الذمة في مصر العصور الوسطى (ط٢، دار المعارف ١٩٧٩م). وكذا ما كتبه لين بول وفشل:-

Poole:Social Life in Egypt(London 1883)

Fischel W.J:Jews in the Economic Political Life of Medieval Islam (London 1937)

وهناك كتاب انفردوا بذكر طبقة معينة مثل:-

علي السيد محمود: الجواري في مجتمع القاهرة المملوكية (عدد١٨ من تاريخ المصريين، القاهرة ١٩٨٨م).

محمد رجب النجار: حكايات الشطار والعيارون (ط٢ القاهرة ٢٠٠٢م). وفيه يناقش طائفة الشطار والعيارون في التراث العربي، ودورهم في الثورة على الدولة والمجتمع. ثم يناقش هذه الظاهرة تاريخيا موضحا فرقهم مثل الحرافيش والزعار والعياق في مصر. ثم يناقش حكاياتهم في الأدب الشعبي العربي كألف ليلة وليلة وغيرها.

وعن النظم التشريعية والتنفيذية نحيل القارئ إلى ما كتبه :-

ابن حجر العسقلاني: رفع الأصر عن قضاة مصر (تحقيق حامد عبدالمجيد، القاهرة ١٩٥٧م).

شمس الدين بن طولون (ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م): الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام (تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق ١٩٥٦م).

---

(١) انظر ص ٥٧ - ٥٨.
(٢) انظر ص ٦٦ - ٦٧.
(٣) انظر ص ٦٢.
(٤) انظر ص ٦٠ - ٦٢.
(٥) انظر ص ٦٩.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

Tyan E:Historie de L Organisation Judiciaire en Pays d Islam.(Paris 1938).

جمال جرجس يوسف: القضاء في العصر المملوكي (رسالة ماجستير بآداب عين شمس ١٩٧٢م).

أما الحسبة والشرطة وتطورهما في مصر المملوكية، وأعوانهما، ومهامهما، فقد تناولهما :-

أحمد عبدالرازق: شرطة القاهرة زمن سلاطين المماليك (القاهرة ١٩٨٣م).

أحمد عبدالسلام ناصف: الشرطة في مصر الإسلامية (ط١، القاهرة ١٩٨٧م).

سهام مصطفى أبو زيد : الحسبة في مصر الإسلامية (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م).

السيد الباز العريني: الحسبة والمحتسبون في مصر (مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مجلد ٣، عدد ٢، ١٩٥٠م).

ومن الجوانب الهامة التي لا يمكن إغفالها في دراسة تاريخ الجراكسة، جانب العلاقات الدولية التي كانت تربطها بالممالك والبلاد المجاورة، سواء كانت تلك العلاقات يسودها المودة أو العداء. ومن أهم من سنعرض لهم : العلاقات مع القبيلة الذهبية وهذه تناولها بولياك في مقال له باسم:

Poliak:Le Caractere Colonial de L Etat Mamlouk dans Ses rapports avec La Horde D Or.(Revue Des Etudes Islamiques, T.IX, Paris1935)

وكذلك العلاقات المملوكية المغولية، وهذه تعرض لها بالدراسة كل من:-

شهاب الدين أحمد بن عربشاه (ت ٨٥٤هـ /١٤٥٠م): عجائب المقدور في نوائب تيمور (تحقيق أحمد فايز الحمصي، ط١، بيروت ١٩٨٦م).

نظام الملك أبو الحسن بن علي الطوسي (ت ٨٤٥هـ): سياسة نامة (ترجمة وتعليق ا لسيد محمد العزاوي، القاهرة ١٩٧٥م).

عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٩هـ /١٤٠٦م): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (ج٥، بيروت ١٩٧٩م). وكذلك مقدمته (ط٦، بيروت ١٩٨٦م).

فايد حماد عاشور: العلاقات السياسية بين المماليك والمغول (القاهرة ١٩٧٥م).

السيد الباز العريني: المغول (دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨١م).

بار تولد شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي (ترجمة خالد أسعد، ط١، دمشق ١٩٨٢م).

Grousset R:L Empire de Steppes.(Paris1948)

أما العلاقات المملوكية مع القوى الأوربية فقد نالت جانبا كبيرا من الاهتمام وتعرضت لها كثير من الكتابات نذكر منها :-

شارل ديل: البندقية جمهورية أرستقراطية (ترجمة أحمد عزت عبدالكريم وتوفيق إسكندر، القاهرة ١٩٤٨م).

عبدالعزيز الأهواني : سفارة سياسية من غرناطة إلى القاهرة في القرن التاسع الهجري (مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، مجلد ١٦، ج١، ١٩٥٤م، ص ٩٥ - ١٢١).

عبدالعزيز محمود عبدالدايم : الصراع بين القوى المسيحية ودولة المماليك الجراكسة في مياه البحر

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

المتوسط (ندوة مصر وعالم البحر المتوسط، ط١، القاهرة ١٩٨٦م، ص٢٠٣ -٢٢٤). وفيه يرصد القرصنة الأوربية وموقف المماليك منها.

Ayalon D:The Mamlouks and Naval Power-Aphase of theStruggle between Islam and Christian Europe.(Israel Academyof Sciences and Humanities,1,Jerusalem 1965)

Piloti D.J:L Egypte Au Commerce Au XVII Siecle.(Le Caire 1950)

Atiya A.S:the Crusade in the leter middle Ages(London1938)

Wiet:les Relations Egypto-Abyssines sous les sultans Mamlouks.(Bulletin de la Societe d Archeologie Copte,Iv,1938)

يبقى في النهاية العلاقات المملوكية العثمانية، والتي ساهمت بجزء - إلى جانب أسباب أخرى - في سقوط دولة المماليك بالشام ومصر تحت الاحتلال العثماني. وحكى لنا تطور هذه العلاقات، وعملية السقوط -: بعض المعاصرين لهم، وكذا بعض المحدثين. ومنهم

محمد بن محمود بن أجا (ت ٨٨١هـ) : العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، مع رحلة الأمير يشبك بن مهدي الدودار. (تحقيق محمد أحمد دهمان، ط١، دمشق ١٩٨٦م).

أحمد بن زنبل الرمال (ت ٩٦٠هـ /١٥٥٢م) : واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني. (تحقيق عبدالمنعم عامر، ا لقاهرة ١٩٩٧م).

محمد مصطفى زيادة : نهاية المماليك في مصر (المجلة التاريخية المصرية، مجلد ٤، عدد ١، مايو ١٩٥١م).

أحمد فؤاد متولى : الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته (دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٦م).

نيقولاي أيفانوف : الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦- ١٥٧٤. (ترجمة يوسف عطا الله، دار الفارابي، بيروت ١٩٨٨م).

محمد فؤاد كوبرولي : قيام الدولة العثمانية.(ترجمة أحمد السعيد سليمان، ط٢، القاهرة ١٩٩٣م)

الميرآلاي إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية. (دار الفكر الحديث، بيروت ١٩٨٨م).

Hammer:Histoire L Empire Ottoman.(Paris1864)

Hess A:the Otoman Conquest of Egypt1517 and the beginning of sixteenth century.(World war International journal of Middle East Studies,vol Iv,1973)

❋❋❋❋❋

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

خـاتمـة

من خلال العرض السابق لأهم مصادر ومراجع تاريخ دولة المماليك الجراكسة بمصر والشام، يتبين لنا أنها تنوعت ما بين المصادر الأثرية والتاريخية والجغرافية وغيرها. مما يساعد الباحث على الإلمام بتاريخ هذه الدولة من مختلف جوانبها. يبقى بعد ذلك إن نتعرض عنها إلى النقد الموجه للمصادر التاريخية لهذه الدولة، وقد حصرها أحد ا لباحثين[1]. في:-

١- إن مؤرخي الدولة كانوا في الغالب ممن شغلوا - أو طلبوا - وظائف في الدولة المملوكية، وأنهم جمعوا بين فن الكتابة التاريخية والدراسات والتآليف المتنوعة.

٢- أنهم مارسوا جميعا نظم الشعر في المناسبات المختلفة.

٣- أنهم كانوا شديدي الخصومة، والتحاسد، والتعصب لمشايخهم.

٤- ادعوا في مقدمات كتبهم أنهم ألفوها لأنفسهم، أو تحقيقا لرغبة صديق لهم، وأنهم لم يهدفوا من وراء ذلك نفعا أو سيطا. وقد لازم هذا التصنع علماء عصر الجراكسة لا سيما إذ كان المؤلف ممن لم يسعدهم الحظ في البلاط السلطاني، أو عند أحد الأمراء.

٥- إن الغالبية العظمى من كتب مؤرخي القرن الخامس عشر الميلادي في مصر ليست سوى ذيول وتكملات لكتب سابقة، وهدفه من ذلك أن ينالهم بعض شهرة السابقين، طالما سلم الناس بأهمية هذه الكتب قبلا.

٦- اتجاه بعضهم إلى تأليف كتب صغيرة في موضوعات معينة.

٧- فيما يختص بمنهج الكتابة والتأليف عندهم:-

أ- فقد افتتح كل منهم كتابه بالبسملة والحمدله والصلوات الطيبات، ثم بذكر بدء الخليفة وقصص الأنبياء، ثم شرح فضائل مصر، ثم ينتقل إلى تاريخها منذ الفتح الإسلامي حتى عصره، مبتدأ بالاختصار ومنتهيا بالتفصيل.

ب- دأب مؤرخو مصر الجركسية على ذكر الحقائق مجردة دون تعليل أو ربطها بحوادث سابقة.

ج- طريقتهم في الأجزاء غير المعاصرة من مؤلفاتهم هي النقل من كتب السابقين، دون أن يتعرضوا لها بنقد أو تعليل.

د- طريقتهم في الأجزاء المعاصرة من مؤلفاتهم ترجع إلى مقدرة المؤلف على استقاء الأخبار من منابعها، وعلى تنقية هذه الأخبار.

هـ- يتضح من مؤلفات المؤرخين أنهم كانوا على دراية كبيرة بجغرافية البلاد المجاورة والبعيدة، بفضل أسفارهم إليها. وحوت معلوماتهم حقائق بارزة، ولم تكن مهوشة أو مملوءة بالخرافات.

و- اتصفت المؤلفات التاريخية لعصر الجراكسة بسقم الأسلوب العربي الذي كتبت به، وحوت تعابير وجمل لا تمت للعربية بصلة، وكذا عاميات غريبة واصطلاحات غامضة لم ترد في المعاجم.

وإلى جانب ذلك فقد أضاف أحد الباحثين المحدثين[2]. كثير من النقد التأريخي إلى المصادر المملوكية الجركسية، نأخذ بعضها على سبيل المثال :-

---

(١) محمد مصطفى زيادة : المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي (القاهرة ١٩٤٩م) ص ٨١-١٠٥.
(٢) محمد كمال الدين عز الدين : دراسات نقدية في المصادر التاريخية. (ط١، بيروت ١٣٩٣هـ).

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

١- ابن حجر العسقلاني في كتابه إنباء الغمر بأبناء العمر. لم تخل ترجماته من إصدار حكم على ذويها وفق ما يراها هو من أحوالهم، ولم يسلم بكل ما أمدته به المصادر التاريخية، بل استخدم عقله في مناقشتها، كذلك كان يسخر من التصرف في بعض الحوادث، وكشف أحيانا عن العامل الرئيسي في توجيه الأحداث، وبالجملة كان منصفا في نقده[١].

٢- عبدالباسط الحنفي في كتابه الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم. مجد منصب الخلافة العباسية وأجلها، وكذب دعاوي المنجمين، وأنف من الظلم والجور، وكشف عن العامل الرئيسي في توجيه الأحداث، ونقد أحوال مجتمعهم وما شاع فيه من فساد ورشاوي وتمرد من الجلبان، وكان منصفا في نقده إذ كشف محاسن ومساوئ مترجمه[٢].

٣- ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. إذ ذكر في تقويم مادة كتابه أنه ناقش كثير من روايات مصادره، وأضاف إليها ما استقاه من مصادر غير مكتوبة، كما نبه دائما إلى الفرق بين الاسميين المتشابهين، وفسر كثيرا من الأسماء التركية وصوب كتابتها، وتتبع كثيرا من رسوم الدولة، وما طرأ على العمارة من تطوير، وهدف من تاريخه تهذيب سياسة المملوك. ومما يؤخذ على ابن تغري أنه شوه بعض المعلومات بسبب أخطاءه من النقل أحيانا، وإثباته بعض الحوادث في غير سنة حدوثها أو في غير يوم وقوعها، كما أنه أغفل أحيانا التأريخ لكثير من الحوادث. هذا إلى جانب إشاعة الغموض أحيانا في بعض مواضع الكتاب بسبب اختصار معلومات مصادره، كذلك يؤخذ عليه التسليم ببعض الخرافات نقلا عن مصادره[٣].

❋❋❋❋❋

(١) المرجع السابق، ص ٩٩ - ١١٧.
(٢) المرجع السابق، ص ١٣٧ - ١٦٩.
(٣) انظر المرجع السابق، ص ٣٥٠ - ٣٥٩.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.